كتب الدراسات القرآنية

الجدل في القرآن

دكتور
حسن الشرقاوي
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه

الجدل في القرآن

دكتور
حسن الشرقاوي
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان الذين يجادلون فى أيات الله بغير سلطان أتاهم
ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه
هو السميع البصير »

صدق الله العظيم

(غافر آية : ٥٦)

مقـــدمة

يرى بعض المتفلسفين أن « الجدل » يستمد اسمه من الفعل اليونانى « يحـاور » وكان معنـاه في لأصـــل « فن الحـوار » أو « النقــاش » أو « الجدال »(١) ٠

وهذا الرأى يجعل الجدل مرتبطا في الزمان والمكـان ببلاد اليـونان القديمة ٠

وليس لدينا ما يثبت حجية هذا الرأى ، اذ اننا نلاحظ أن هناك ثورة على « البرهمانية » وهى احدى العقائد الشرقية القديمة ، فقد قامت مدرسة سوفسطائية ـ أساسها جدلى قائم على انكار كل حقيقة ـ كرؤفعل على غلاة الكهنوتيين ، وهذه المدرسة تعد أقدم تاريخيا من السوفسطائية اليونانية(٢)٠

اننا لانعتقد أن التفكير الانسانى قد حـدد بتـاريخ الفكر اليونانى القديم ، ولانشك أن التفكير الفلسفى سابق على اليونان بل على العقـائد القديمة لانه من الناحية التاريخية ثبت ان هناك جدل بين ابن آدم « هابيل وقابيل » وفى « قصص الأنبياء » ما يشهر على جدال المشركين والكفـار ، سواء قوم « نوح » أو قوم « ابراهيم » أو قوم « لوط » أو قوم « عـــاد وثمود » أو غيرهم (٣) ٠

بل هناك نوع من الجدل قام عند خلق « آدم » بين « ابليس » وربه وأيضا قام جدل استفسارى بين الملائكة والله سبحانه وتعالى ٠

وهذا يثبت أن الجدل بدأ مع بداية الخليقة ، ثم استمر هذا الجـــدل قائما منذ عهد آدم عليه السلام الى الآن ، ودليلنا على صدق ما نقول ، قول

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة س ١٢٤ ٠

(٢) حسن الشرقاوى نحو ثقافة اسلامية ٠

(٣) راجع فى ذلك (قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار والنبـوة والأنبياء للأستاذ محمد على الصابونى) ٠

عز من قائل

« وكان الانسان أكثر شيء جدلا » (الكهف ٥٤)

ذكرت لفظة الجدل في القرآن الكريم وما تعرف منها في تسعة وعشرين موضعا ، كما ذكر لفظة الحجة في عشرين موضعا ...

والملاحظ أن الجدل في القرآن الكريم مذموم في كل موضع ذكر فيه الا في ثلاثة مواضع وهي في قول عز من قائل :

١ ـ « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » النحل ١٢٥

أى استخدم الدعوة لاظهار الحق بالأدلة الواضحة ، وعليك باصغاء الى مثيبهم والترفق بهم واقناعهم مع ترك الغلظة معهم عند جدالهم ليكون الحجة عليهم اظهر في الدعوة لله ، وهذا ما نجده في الأنبياء عليهم السلام من السماحة والشفقة والبعد عن الغلظة والعسف .

٢ ـ « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن »

العنكبوت ٤٦

٣ ـ ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها))

المجادلة ١

وهي حولة بنت ثعلبة الانصارية كانت زوجة لأوس بن الصامت وظاهرها أى ابتعد عن معاشرتها نشكت للرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآيه « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » .

فساد جدال أبليس :

أول من اظهر الخلاف ابليس اللعين ★ ، فقد ركب برأسه العناد ،

★ يقول الامام السيوطي « أول من قاس أمر الدين برأيه ابليس وهو أول من قاس فأخطأ ... وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس . (أنظر في ذلك ، الوسائل الى معرفة الأوائل ، لحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق الدكتور ابراهيم العدوى والدكتور على محمد عمر مكتبة الخانجي بالقاهرة) .

وقاده للفرقة والضلال ، وأشعل الحقد والكراهية بين الناس والعباد .
وقد اعترض على خلق آدم اذ قال

« خلقتني من نار وخلقته من طين » الأعراف ١٢

وهو يريد أن يقول لله تعالى أنا أحسن من آدم وأفضل منه ، لأن النار التي خلقتني منها ألطف وأكثر شفافية بالاضافة الى قوة أشراقها وسلطان احراقها اما الطين الذى خلق منه آدم فهو جسم مظلم كثيف لا لطافه فيه ولا شفافية فكيف أسجد للأدنى المخلوق من الطين والأولى أن يسجد الأدنى للأعلى المخلوق من النار اللطيفه وهذا اعتراض على أمر الله

هذا مجمل جدل ابليس « اللعين » وظاهر أنه عارض النص القرآني بقياس ضعيف ، وعدا لم يفعله الملائكة فلم يظهر منهم معارضة أو اعتراض أو خلاف أو عصيان بل طلبوا بسؤالهم الايضاح والبيان والاستفهام

اما ابليس أفتى بغير علم ، ودل برأيه القاصر في مسالته وعاند في مجادلته وخسر بذلك كل شيء ...

اذ أن استخدام ابليس للقياس في مقابل النص القرآني يدل على عدم الاستبصار وهو فساد في الرأى ، اذ سهام القياس يمكن أن تصيب مرة وتخطىء اما النص القرآني فهو كلام الله المعصوم المنزه عن الخطا والزلل ويمكن ايراد الرد على ما زعمه ابليس في النقاط الآتية :

١ ـ قول ان النار أفضل من الطين قول مرفوض اذ أن الأصول الأولى للأجسام هي الماء والتراب والهواء والنار فلا يقوم جسم الا باجماعهما فهي متكافئة في التاثير فافضلية جسم على جسم لا دليل عليه ...

وبذلك فان قول ابليس بافضلية النار على الطين لا دليل عليه من ناحية آخرى فان الطين يشتمل على أصلين من الاصول الاربعة اذ يحتوى على الماء والتراب فكيف تكون النار وهي أصل واحد أفضل من اصلين

متكافئين وبالاضافة الى ذلك فان الماء أفضل لأن سلطانه يقهر سلطان النار، اذ أنها اذا التقيا أطفأ الماء النار

ويمكن دحض حجة ابليس من ناحية أخرى أن الاذعان لله ، والامتثال لطاعة الله والسجود لآدم افضل من الامتناع اذ أن الامتثال يعفى من العقاب اما الامتناع فيترتب عليه المخالفة ثم العقاب كما أن الامتناع عن السجود بحجة ان آدم مخلوق من طين ينزم عنه تخطئه الأمر وهذه أعظم جناية فى حق الله حتى ان بعض المتكلمين قال

« ان كل شبهة دفعت فى الملل فاصلها شبهتى ابليس »

ونجد فى قصة « حى بن يقظان » من الصور التى تشير الى أن الانسان بفطرته مجبولا على حب الجدل ، يقول ابن طفيل « فلما صح عنده بفطرته الفائقة التى تنبهت لمثل هذه الحجة أن جسم السماء متناه ، اراد أن يعرف على أى شكل هو » ، الى أن أراد أن يتبت أن لهذا العالم صانعا ، وفى ذلك يقول « اذا كان حادثا (العالم) فلابد له من محدث ، وهذا المحدث الذى أحدثه لم أحدثه الآن ولم يحدثه من قبل ذلك ٠
الطارىء طرا عليه ولا شيء هناك غير ؟

أم لتغير حدث فى ذاته ٠٠٠٠ »(١)

وهكذا يؤكد ابن طفيل فى قصة « حى بن يقظان » على حب الانسان للجدل والحجاج

ولكن - لماذا زعم بعض الباحثين أن نشاة الجدل بدات مع تاريخ الفلسفة اليونانية ؟

وفى تصورنا أن ذلك راجع الى أن الكتب اليونانية قد حفظها لنا

---

١ - حى بن يقظان لابن طفيل ص ٩٧

التاريخ حيث ترجم العرب (١) كتب ومؤلفات الفلاسفة اليونان قبل أن تندثر كما اندثرت كتب الحضارات القديمة .

ولكن - وصلت الينا حكايات وأخبار عن الحضارات القديمة عن طريق الكتب السماوية الذى يعتبر القرآن الكريم أكملها وأشملها وأدقها وأعمها وأصدقها لأنه يعد الكتاب الختم لكل ما سبقه من الكتب السماوية ولأنه جاء مصححا لما حرف منها متفقا مع الفطرة السليمة والعقل الرشيد والذوق الرفيع ، حقا وصدقا ويقينا

وما أجمله القرآن وجاء به بوجه كلى وعام ، فصله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من أحاديث وسنن

ومن ثم فاننا لا نتفق مع الرأى القائل بان التفكير العقلى يبدأ مع الفكر اليونانى بل ربما نجد فى تاريخ مصر القديمة ، ما يدل على تفكير عقلى ممتاز ، الا أنه ارتبط بالناحية العملية التطبيقية

ويمكن أن نشاهد ذلك فى التماثيل والمعابد وعملية التحنيط ، التى تفصح عن عقيدة المصريين القدماء وايمانهم بفكرة العدالة والحساب الأخروى ، ووزن الأعمال ودفاع النفس وجدالها عن نفسها لكى تثبت براءتها من الأخلاق الذميمة وتمسكها بالفضائل والأخلاق الكريمة ★ .

وبوجه عام ترتبط فكرة التوحيد بفلسفة الفراعنة

---

(١) دى لاسى او ليرى ، الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ١٢٠ ، ترجمة دكتور تمام حسان ومراجعة الدكتور محمد مصطفى حلمى ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .

★ ويقوم واحد من المصريين مدافعا عن نفسه يرجو الثواب من الآلهة « لم أرتكب اثما ضد الرجال ولم يشعر أحد بالجوع ، ولم أسبب بكاء أحد ، وما أمرت بقتل نفس ، ولا ارتكبت جريمة القتل بنفسى ، ولم أسرق أى شخص وما جعلت الناس تخافنى ، ولم أك جبارا عاتيا ، ولم أك قاسيا ، فكنت أمد الجائع بالخبز وأروى العطشان بالماء وكنت أكسى العراة » (ص ٥٦ من كتاب آداب السلوك عند المصريين للأستاذ محمد عبد الحميد بسيونى ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤

ولا يعني هذا أن الفراعنة لم يكن لديهم تفكيرا عقليا مثل فلاسفة اليونان ، انما كان عندهم يقين بأن هناك اله واحد خالق لهذا الكون ، خلق الماء والهواء ، والنار ، والتراب ، بل خلق كل شيء ، وليس هناك آلهة متعددة كما زعم اليونانيون القدماء .

ودليلنا على صدق ما نقول أن أفلاطون زار مصر ، وقابل أحد الكهنة وحاوره فقال له الكاهن أنتم أيها اليونانيون عيال فى الانسانية تعبدون آلهة متعددة ونحن نعبد اله واحدا وكأنه يقول له أآلهة متعددة خير أم اله واحد قهار ؟!

وبالرغم من أن فكرة التوحيد فى الديانة المصرية القديمة لم تسلم من شائبة الوثنية ، ولم يزل عبادة الشمس ظاهرة الأثر فى عبادة آتون ، الا أنها أكثر وضوحا من غيرها فى العقائد والفلسفات القديمة سواء كانت زرادشتيه او هندوكية أو يونانية .

لذلك فنحن نؤكد على تفوق الفراعنة فى التفكير العقلى لأنه كان مرتبطا بالايمان بالله وهذا لاشك أفضل من التفكير العقلى الذاتى المبتسر الذى يتناقض بعضه مع بعض ، ولا يعطى اجابات شافية لأصل الوجود كما نراه عند الفلاسفة اليونانيين الذين يزعمون أن أصل الوجود أحد العناصر الأربعة أو العناصر الأربعة جميعها ، أو نظريات التغير والصيرورة أو الثبات والسكون وعدم الحركة أو هؤلاء الذين يضمون نظرياتهم ويتشككون فى العالم الحسى ، ويزعمون أنه عالم الأشباح فى مقابل عالم المثل ، كما نجد ذلك عند أفلاطون ، بل ان أرسطو وان كان استفاد ممن قبله من الفلاسفة الا أنه جعل الله هو المحرك الأول الذى دفع العالم دفعة واحدة ، ثم تركه ولا يعلم الآن شيئا عن هذا العالم الذى صنعه .

فنحن نرى أن الجدل قد بدأ مع الفكر الفرعونى قبل الفكر اليونانى بآلاف السنين الا أنه قد صبغ بصبغة عملية وهى تفوق بلاشك الفكر العقلى

الذاتي لليونانيين لأن الايمان ليس مرحلة متفصلة عن التفكير العقلي انما هي تتجاوزه .

فالعقلانيون لا يمكنهم أن يصلوا الى حقائق الأشياء مهما كانت عقولهم رشيدة لأن العقل الانساني عاجز في البداية والنهاية عن الوصول الى كنه الأشياء وحقائق الوقائع .

فاذا أراد الفيلسوف أن يتفلسف بعقله وحده محاولا أن يتعرف على أصل الوجود فانه سيقع في التدليس والتخليط لانه يحمل أكثر مما يستطيع حمله ، فينزلق في المتناقضات ويسقط سريعا في بحر الظلمات ، ويصل الى الباب المسدود .

فالدين بعامة والتوحيد بخاصة يعين العقل البشري على الوصول الى الحقيقة ، اذ الدين هاد للعقل وليس العقل هاديا للدين بالضرورة .

واذا كان استعراض تطور الجدل قد أبان عن أنواع يمكن حصرها في الآتي :

١ ــ الجدل الخطابي أو السفسطائي .

٢ ــ الجدل الفلسفي (الديالكتيك) .

٣ ــ جدل النفس .

٤ ــ الجدل المادي التاريخي

فان المتأمل في آيات الله البينات يستطيع أن يستخلص أنواعا من الجدل تفوق الجدل الفلسفي كما وكيفا وصدقا وحقا ويقينا

فبالاضافة الى الجدال الابليسي والاستكباري وجدال النفس وجدال المتألهين وجدال المرحين وجدال الماديين ولجاج اليهود يوجد أيضا جدل بين الحق والباطل كما يوجد جدل ملائكي استفساري وجدل الأنبياء الإطمئناني وجدل ايثاري وجدل معرفي وجدل الشوري وجدل تعليمي .

ان هذه الأنواع تربو على خمسة عشر نوعا وتزيد

فمن ناحية الكم هى متفوقه لأننا اذا تأملنا الآيات البينـات سنكتشـف أنواعا وصورا أخرى للجدل لم نحظ بها بعد .

فالمعروف أن الجدل القرآنى اما ان يكون وعظيا او نصحا أو اجلاء للحقائق أو تثبيتا لأقدام المؤمنين أو انزالا للسـكنة والأمن والطمانينة فى قلوبهم ، أو لدحض الباطل واعلاء كلمة الحق ، أو لزجر أصحاب الهوى عن الخوض فيما ليس لهم به علم ولاهدى ، وما الى ذلك من الأغراض الرفيعـة والمقاصـد السامية .

وهذا الجدل القرآنى يفيد المتفكر افادة تامـــة ويجيب عن جميـــع التساؤلات التى يمكن أن تشغل الانسان فى كل زمان ومكان ويود الاجابة الشافية عنها .

اذ أن الاجابات القرآنية تزكى النفس وتهدى العقل وبها يسلم القلب من الآفات والتحديات والشرك والالحاد .

وهذا ما لا نجده عند أصحاب المذاهب الفلسفية القديمة أو المعاصرة، اذ أنهم يخوضون فى موضوعات فوق مستواهم العقلى والذهنى ، ويحملون فوق كواهلهم ما يوقعهم فى التخبط والتدليس والضلال الأمر الذى يبعدهم عن أنوار الحقيقة ، ويرديهم الى مهاوى الضلال

لذلك يتوجب على المتأمل أن يتدبر كتاب الله ويجعله نبراسا يهتدى به فى ظلمة النفس وهوى العقل وغواية الشيطان حتى يهتدى الى الحق والحقيقة من كتاب الله الذى لا ينضب ومن حديث رسول الله الصادق الأمين

وان مقصدنا من هذا الكتاب أن يكون بابا يدخل منـــه المتـــأملون والباحثون بعامه والمتفلسفون بخاصة لكى يعرفوا أن الشريعة الاسلاميـــة والدين القيم قد عالج كل القضايا القديمة والمعاصرة والمشـــكلات الفكرية التى تقابل المفكرين فى كل عصر وحين ، وأن القرآن الكريم قد ربط ربطا محكما بين العلم والدين وبين الفكر والتفكر وبين التأمل العقلى والهـدى الالهى مما يستحيل ، معه أن تبقى مشكلة أو قضـية واحدة لم يبحثها ، وكذلك ليتأكد الانسان أن القرآن الكريم فيه شفاء من كل العلل والآفات

« ومن أصدق من الله حديثـــا »

الفصل الأول

الجدل بين العبودية والربوبية

١ ـ تطور الجدل ومفاهيمه المختلفة .

٢ ـ الجدل بين الفكر والتفكر .

٣ ـ الجدل الفلسفي في القرآن الكريم

٤ ـ الأدلة العقلية للاعجاز القرآني .

تطور الجدل ومفاهيمه المختلفة

ان أهم المجالات التى يمارس فيها الجدل قديما وحديثا هو مجال العلوم الانسانية بعامة والعلوم الفلسفية بصفة خاصة ، ويحتدم الخلاف بين المذاهب الجدلية المختلفة حول تعريف ومفاهيم ومسميات الأساليب الجدلية

ونجد برتراندرسل يميز لنا بين نوعين من الجدل هما

الجدل الخطابى والجدل الفلسفى (الديالكتيك) (١)

ويعد « هيراقليطس » أول من مهد الطريق لفكرة « الديالكتيك » عندما وضع نظريته فى الأضداد والحركة والتغير المستمر ، الا أن فهم تطور الجدل لا يتضح الا بمقابلة نظرية هيراقليطس فى التغير المستمر بنظرية « بارمنيدس »فى الثبات وعدم الحركة •

كما أن زينون الايلى قد ساهم فى تنمية المناهج الديالكتيكية عندما دافع عن نظرية أستاذه بارمنيدس فى الثبات وعدم الحركة ضد الحركة والتغير (٢) بدرجة جعلت افلاطون يقول أن زينون هو أول من ابتكر الجدل وأنه يعد فى ذلك أستاذا لسقراط (٣) •

ومن الجدير بالذكر أن ظهور السوفسطائيين يعود فى الأغلب الى التعارض القائم بين مدرسة التغير « هيراقليطس » ومدرسة الثبات « بارمنيدس » وذلك لضياع فكرة الحقيقة بين النظريتين المتعارضتين

وقد عمد السوفسطائيون الى التركيز على الجدل وكانوا يفاخرون بتأييد الرأى الواحد ونقيضه فى آن واحد ويفاخرون بقدرتهم على ايراد

---

(١) برتراندراسل ، حكمة الغرب الجزء الأول ص ٩٩ ، عالم المعرفة١٩٨٣

(٢) جان فال ، طريق الفيلسوف ص ٥١٥ ، ترجمة الدكتور أحمد حمدى محمود •

(٣) برتراندراسل ، المرجع السابق ، ص ٩٩ •

الحجج الغلابة في مختلف المسائل والمواقف (١) ٠
ومن ثم كانت الحقيقة عندهم نسبية وكانت الأخلاق عندهم نفعية وشخصية ومتغيرة ، بل وشككوا في امكانية المعرفة ٠

ومن أشهر السوفسطائيين :

بروتاجوراس (٤٨٠ - ٤١٠ ق م) وهو يزعم أن الانسان مقياس الأشياء جميعا ٠

أما الثاني فهو « جورجياس » (؟ - ٣٧٥ ق م) وينكر امكان قيام المعرفة حينما صرح بأن « لا شيء موجود وان كان هناك شيء فلا سبيل الى معرفته ولو عرفنا فليس في مقدورنا أن توصل ما نعرف الى الآخرين»(٢)

وفي الواقع لم يفعل السوفسطائيون سوى أنهم اعتمدوا على قوة المهاترة واللجاج والحجاج على حساب التفكير والحجة الواضحة ، ولم يهتموا بالبحث عن الحقيقة لذاتها بل أنكروها ، وجعلوا همهم منصبا على البحث عن وسائل النجاح في الحياة اليومية ، فوجدوا أن خير طريق للغلبة هي اقناع سامعيهم بأى أسلوب ، ولو كان ذلك على سبيل التغرير بهم ، وتخيروا لذلك أسلوب الخطابة الطنانة التي تعتمد على زخرف القول واختراع الحجج الزائفة (٣) ٠ ويختلف مفهوم الجدل عند سقراط عن الجدل الخطابي عند السوفسطائيين لأن سقراط اعتمد على الجدل العقلي (الديالكتيك) ٠

ومن ثم وضع الأسس لفن جديد هو فن الحوار أو فن توليد المعاني(٤)

---

(١) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٥
(٢) أندرية كرسون ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ٧٢ ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر ذكرى ، دار الشعب ١٩٧٩
(٣) محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ص ١٣ ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦
(٤) دكتور محمود قاسم ، المرجع السابق ص ١٣

كانت الحقيقة وحدها هى غاية سقراط ولم يكن هدفه من وراء ذلك تحقيق منفعة شخصية ، بل ولم يتخذ من الحوار سبيلا الى الغلبة والظفر على الخصم بل كان هدفه الأخير هو فحص وجهة النظر المعروضة موضوع الحوار لمعرفة مدى حقيقتها (١) ٠

ولقد حاول سقراط عن طريق الجدل العقلى (ديالكتيك) أن يضع الحدود والتعريفات من أجل الوصول الى العلم الكلى وعلى الأخص فى مجال الأخلاق لأن التعريف يؤكد كلية المعرفة وضرورة قضاياها المطلقة كما يؤكد ثبات القيم والفضائل الأخلاقية العليا (٢) ٠

وبعد سقراط جاء تلميذه أفلاطون الذى اعتمد اعتمادا كبيرا على الجدل للوصول الى العلم اليقينى (٣) ٠ الا أنه لم يصل الى بغيته ، بل كل ما وصل اليه نظرية فى المثل تميز بين عالمين وتقسم الوجود قسمين

العالم المعقول ٠٠٠٠ والعالم المحسوس ولذلك اشتهر الجدل الأفلاطونى بالقسمة الثنائية (٤) الا أن أفلاطون أدخل عنصرا جديدا فى الجدل ، عندما تكلم عن رحلة النفس الصاعدة من العالم المحسوس الى العالم المعقول ، وشرح كيف أن النفس تحادث نفسها فى أمر هذه الرحلة على شكل حوار داخلى لكى تستكشف مراحل الطريق وتعرف أصلها الذى صدرت عنه (٥) ٠

ولكن ـ النفس لم تحظ فى رحلتها الى العالم المعقول الا على التعرف على ثلاثة نماذج أو مثل هى مثال الخير بالذات ومثال الجمال بالذات والاله الصانع (الديمورج كما يسميه الدكتور أبو ريان) فلم يقل أفلاطون صراحة بالتوحيد ، كما أنه لايقول بالخلق لأن الصانع عنده منظم لمادة

---

(١) دكتور محمود قاسم ، المرجع السابق ٠
(٢) محمد على أبو ريان ، الفلسفة اليونانية من طاليس الى أفلاطون ص ١٢٥
(٣) د٠ محمد أبو ريان ، الفلسفة اليونانية (من طاليس الى أفلاطون) ص ١٢٥
(٤) نفس المرجع ٠
(٥) محمد على أبو ريان ، الفلسفة ومباحثها ص ٣٦

مضطربة سابقة على تنظيمه موجودة من دونه (١) .

ومن ثم لم يستطع أفلاطون أن يصل الى العلم اليقينى لأن الجدل عنده جدل ذاتى يستند الى الفكر والتصورات العقلية ، ويستمد مادته من العالم المادى والحسى المشاهد والتجربة العملية

ولكن يتوجب علينا أن نذكر أن الجدل الأفلاطونى ليس مجرد مناقشة وقرع الحجة بالحجة كما كان عند أستاذه سقراط ، بل أصبح لونا من الانتقال من حالة وجودية الى أخرى أعلى وأرقى منها ، وهذا هو معنى الصيرورة (٢) .

ويخالف أرسطو أستاذه أفلاطون ولا يعتبر الجدل علما أو وسيلة صالحة للوصول الى العلم ، ولم ينظر أرسطو الا لنوع واحد من الجدل هو الجدل الخطابى أو السفسطائى الذى لايهتم الا بمصلحة المجادل (٣) .

ويبدو أن أرسطو انتقد كل الصور الجدلية بغرض التمهيد لوضع المنطق الذى قدر له من الشهرة والتقدير أكثر مما هو جدير به (٤) .

ولقد ظل الفكر الانسانى أمدا سجين القياس الأرسطوطاليسى الذى لا يملك الوصول الى حقائق جديدة بل يستخدم فى عرض المعلومات التى تم اكتسابها من قبل (٥) .

ولذلك نجد الرواقيون يعتبرون المنطق الأرسطى نوعا الجدل (٦)

ولاشك أن الباحثين والدارسين يدركون الآن أكثر من ذى قبل الى اى حد أخفق المنطق الأرسطى منطق القياس فى معرفة حقائق الالهيات والاخلاق ، فكاد منطق ارسطو أن يلحق الكمال المطلق بالعدم المطلق وأخرج

---

(١) ابراهيم مدكور ، ويوسف كرم ، دروس فى تاريخ الفلسفة ص ١٨
(٢) محمد على أبو ريان ، الفلسفة ومباحثها ص ٣٦
(٣) محمد على أبو ريان ، أرسطو والمدارس المتأخرة ص ٥٦
(٤) محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٧
(٥) محمود قاسم ، المرجع السابق ص ٩
(٦) جان فان ، طريق الفيلسوف ص ٥١٨

لنا صورة للاله لا يصلح للايمان به ، ولايستقيم مع الفطرة السليمة والعقل الرشيد لأنه اله كل وظيفته أنه حرك العالم بدفعه دفعة واحدة ثم تركه ولا يعرف عنه بعد ذلك أدنى شيء ٠

ولقد تأثر علم الكلام الاسلامي بالتيار العقلي اليوناني في نهجه العقلي وفي اتجاهه الاختراعي والابتداعي وكان بابتعاده عن النهج القرآني السليم الفطرى مثيرا لكثير من المشاكل التي تفرق المسلمين وتجعلهم فرقا وأشياعا متناحرين ومتخاصمين (١) ٠

الا أن أئمة المسلمين وعلمائهم الذين يمثلون المنهج الاسلامي والتفكير الاسلامي أصدق تمثيل هاجموا المنطق الأرسطي وأنكروا قدرته على التوصل الى حقائق الوقائع (٢) ٠

والطريف أن الامام أبو حامد الغزالي استخدم العقل لكي يثبت بالبرهان العقلي نقص العقل وعجزه عن بلوغ مافيه خيره وسعادته ، وهذا هو المنهج الذي استخدمه في كتابه الشهير « تهافت الفلاسفة » الذي أثبت فيه أخطاء الفلاسفة فيما تناولوه من مسائل في النفس والعلم وخلق العالم وغلطهم في عشرين مسألة أهمها الثلاثة المشهورة وهي قولهم بقدم العالم وعلم الله بالكليات دون الجزئيات وحشر الأرواح دون الاجساد (٣) ٠

ومنذ ذلك الحين لم تقم للفلسفة العقلية والمنطق الارسطي قائمة ، فقد هاجم رجال عصر النهضة الأوربية المنطق الأرسطي باعتباره منطقا صوريا يقوم على فكرة الطبائع والتصورات العقلية ، ونقل روجر وفرنسيس بيكون الى أوربا المنهج التجريبي الذي يعد من حيث النشأة فرع من فروع المنهج الاسلامي الشامل للمنهج الرأسي والأفقي جميعا ★

---

(١) الامام عبد الحليم محمود ، الاسلام والعقل ص ١١٤

(٢) على سامي النشار ، المنطق الصوري ص ٥٧ ، الطبعة الخامسة ١٩٧١

(٣) للمزيد ، راجع (الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، الطبعة السادسة ، تحقيق د٠ سليمان دنيا ، دار المعارف ١٩٨٠) ٠

★ راجع للمؤلف (عقم تطبيق المنهج العلمي ، الفصل الثالث الباب السابع الأخلاق الاسلامية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥) ٠

ويمكن التعبير عنه بما يلى

الحسى لعالم الطبيعة ·

والعقلى للاستنتاج بما يأت به الحس ·

أما الروح والبصيرة فانها لعالم الغيب وعالم الخير (١)

وتجد فى العصر الحديث أن الفيلسوف الألمانى « هيجل » يأخذ روح الجدل الأفلاطونى من أجل الوصول الى المطلق وذلك عن طريق الديالكتيك الموسوم باسمه ، والذى يمكن أن نمثل له بالفكرة ونقيض الفكرة وما ينتج عنهما اى الفكرة الثالثة الجديدة المؤلفة من النقيضين (٢) ·

وهكذا دواليك يستمر الجدل الهيجلى فيما يمكن أن قسمية التداخل بين الأضداد عن طريق التدافع فيما بينها بغية الوصول حيث تتلاشى الأضداد جميعا

وفى تصورنا أن الفيلسوف أخفق حيث تصور أنه أصاب ، فكيف يجمع النقيضين ويؤلف بين الضدين فى ثالث ؟!

ففى مجال الفلسفة والقياس العقلى لا يكون التوفيق بين الصدق والكذب الا عين النفاق ·

وفى مجال الأخلاق لا يكون الجمع بين الفضيلة والرذيلة فى قيمة ثالثة الا رياء ·

ولا يؤلف بين الحسن والقبح الا المسخ

ويقلب ماركس الجدل الهيجلى رأسا على عقب فيما يمكن تسمية الجدل المادى التاريخى ، الذى يفسر ماركس به مظاهر الحياة المختلفة عن طريق أحوال الانسان الاقتصادى وتطور أساليب الانتاج (٣)

ويعتمد الجدل النفسى أو العاطفى عند كير كجارد عن الجدل العقلى

---

(١) الامام الدكتور عبد الحليم محمود ، الاسلام والعقل ص ١١٤
(٢) محمد على أبو ريان ، الفلسفة ومباحثها ص ٣٧
(٣) جان فال ، طريق الفيلسوف ص ٥٢

عند هيجل لأنه يعتمد على طرفين فقط هى الفكرة ونقيضها ، ولم يتقدم خطوة واحدة للجمع بينهما فى فكرة جديدة كما حاول هيجل لأن كيركجارد لا يعتقد فى وجود عقل يجمع بين الفكر ونقيضها ، بل يظل التعارض قائم بينهما(١)٠

ومن ثم تنتهى المعرفة وتضيع الحقيقة تبعا لذلك ٠

وهكذا يتأكد لنا دائما أن هؤلاء العقلانيون لا يســـتطيعون بمناهجهم الجدليةالذاتية المتهافته أن يصلوا الى حقائق الوقائق ، بل هم دائما فى تناقض وتعارض ، وتلبيس بين الحق والباطل

كما يتأكد للمتأمل فى آيات الله البينات أن هذه المدارس والمذاهب والنظريات والآراء والدعاوى مسطورة فى القرآن الكريم ، ولكنه أشار إليها جملة دون ذكر لمسمياتها الا أنه ذكر ما يمكن أن يفيد أن ما هو قديم يمكن أن يكون حديثا والعكس صحيح ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٥٢

الجدل بين الفكر والتفكير

يلحظ المتأمل فى آيات الله البينات أنها قد خلت من لفظ فكر الا آية واحدة

« أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر »

(المدثر ١٨)

والفكر معناه الارتباط بالنفس وحدها ، وتركيز الذهن على مايريد صاحبه أن يتقوله بعيدا عما رسمه الله له وهداه رسوله ، وبذلك يخرج هذا المفكر عن الصدق ، ويضمن بالباطل ليدحض الحق ، فيستحق من الله - بذلك الفكر الذاتى - العقاب ٠

لذلك جاءت الآيات البينات كلها تدعو الى التفكر وهو تأمل عقلى فيما يبينه الله من حجج دامغة وأدلة صادقة كقوله تعالى فى المقارنة بين المبصر والكفيف

« هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »

(الأنعام ٥٠)

فالتفكر تأمل عقلى لكنه مرتبط بالايمان بالله فاطر السموات والأرض ، وهو غير الفكر الذاتى أو التفكير العقلى المحض الذى يفصل بين العبودية والربوبية بدون علم ولا هدى ٠

يقول عز من قائل

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »

(الحج ٨)

فالفكر الذاتى يحمل فى طياته جدلا ، يبتعد فيه عن التفكر فى آيات الله البينات ، وبذلك يجنح الى الباطل ليدحض الحق ، ليظفر بتبرير ادعاءاته : ((**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق**)) ٠

((الكهف ٥٦)

فأصحاب الفكر الذاتى انما يتبعون أهواءهم ويتغافلون عن ربهم ،

ويلتمسون حججا ظنية وادلة تخمينية ودعاوى متوهمة ، يناطحون بها الحق والحقيقة ..

أما الذين يتفكرون في خلق الله ، وقد رسخت أقدامهم في حظيرة الايمان ، يجادلون بالتى هى أحسن وهم يرتبطون دوما بخالقهم

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض » (آل عمران : ١٩١)

فالجدل في القرآن يقوم على التفكر في الله .

والتفكر في ذاته دائم وهو بعقله خلق الله وآياته البينات

« فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

(الأعراف : ١٧٦)

« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

(الرعد : ٣)

لذلك فان الجدل العقلي الذى يأمر به الله لابد أن يرتبط بالحقائق ولا يمكن أن يحظى بها الفكر الذاتي بدون الاستعانة بالهدى الالهي والا وقع فى المتشابهات وانزلق بعقله الى هوة الضلالات ... لذلك يأمرنا الله تعالى بعدم المجادلة عن الخونة ولا ندافع عنهم ، اذ هم خانوا انفسهم باتباع غواية الشيطان وموافقة هوى نفوسهم :

« ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم »

(النساء ١٠٧)

يتبين مما ذكرناه أن الجدل القرآني يعتمد على التأمل العقلي لكنه مرتبط بالايمان بالله وبآياته البينات .

فاذا خرج المتأمل عن الرابطة بين العبودية والربوبية فقد أغلق باب المنة الالهية ، وابتعد عن الحق الى اتباع الهوى فيصبح جداله من أجل تحقيق منافع شخصية ومصالح ذاتية ..

لذلك فان الجدال الفلسفى الذى عماده التفكير الذهني فحسب ، مثل

الجدل الخطابى (السوفسطائى) لا يصل الى حقائق لأنه لا يستخدم التوجيه الالهى فى اثبات قضاياه

ومن ثم يقع فى المتناقضات ويسقط فى براثن الضلال .

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد »
(الحج ٣)

ان معظم الفلاسفة يعتمدون على الفكر الذاتى والتأمل العقلى المرتبط بامكانياتهم الذهنية ، الأمر الذى يوقعهم فى المتناقضات عند بحثهم فى العلل البعيدة او أصول الأشياء أو حقائق الوقائع فيضلون فى بيداء لاحدود لها ولا قيود ..

لذلك فان الحكماء المسلمين قد تفهموا حدودهم العقلية ، واعتمدوا على فاطرهم فى التفكر العقلى والتأمل الذهنى ، وقادهم التوجيه الالهى الى بـــر الأمان عندما بحثوا فى أصول الأشياء وحقائق الوقائع

وهذا هو المنهج الجدلى الواجب الاتباع .

الجدل الفلسفي فى القرآن الكريم

ينكر العلمانيون احتواء القرآن الكريم على تفكير فلسفي خالص ويزعمون أنه كتاب دين يرتكز على التوحيد القلبى بالله دون الاقتناع العقلى

وهذا الادعاء غير صحيح فسيتبين للمتأمل فى آيات الله البينات وجود نوع من الجدل الفلسفى بين المؤمنين وغير المؤمنين وهذا الجدل يرقى بالانسان شيئا فشيئا الى الحقائق المطلقة ...

عندما يجادل المتفلسفون يقال أن ذلك هو عين الفلسفة اما عندما نقرأ فى كتاب الله أقوال المجادلين والرد عليها نستبعد أن يكون ذلك تفلسفا أو يدخل فى باب التفلسف ونزعم أن ذلك هو الدين فحسب ..

حقا ان القرآن الكريم يحتوى على رسالة للناس اجمعين من رب العالمين ..

يبين لهم فيها الحق المبين ويعرض لآراء أصحاب الهوى والكفار والمشركين الا أننا اذا أردنا أن نتدارس أراء أصحاب الهوى والشهوات وجدنا ما يزعمونه مسطورا فى القرآن ... مع ما يعرضونه من حجج واهية ودعاوى مفتراه ... كما أننا نجد الاجابات الشافية والحجج الدامغة والادلة المقنعة على كذب دعاويهم وتهافت مزاعمهم مسطورة أيضا فى القرآن الكريم بشكل لا يمكن الا التصديق به والاذعان له ...

حقا لم يسم القرآن الكريم هذه المذاهب والمدارس والنظريات والآراء والدعاوى باسمائها لحكمة الهية لكنه أشار اليها جملة وذكر ما يمكن أن يفيد القارىء أو السامع منها دون تكرار أو اجترار لكن من هذه المذاهب ما هو قديم حديث ومنها ما هو حديث قديم وان اختلف فى العرض أو الصياغة ...

لقد عرض القرآن الكريم بصفة عامة للمذاهب القديمة والحديثة وشرح أقوال المجادلين بغير علم أو المجادلين بغير علم ولا هدى واظهر تهافت دعاويهم ... وعقم آرائهم ..

والقرآن الكريم يحمل فى طياته كل ما يمكن أن يفيد الانسان فى رحلة حياته الدنيا الى آخره من علم ومعارف أساسية فاذا أراد أن يتــأمل ذلك أو أن يمتحن ما عرضه القرآن تجريبيا أو عمليا وجد تأكيدا واقعيــا لصــدق ما يعرضه القرآن .. « ومن أصدق من الله حديثا »

الأدلة العقلية للاعجاز القرآنى

يشتمل القرآن الكريم على مائة وأربعة عشر دليلا معجزا وهى تمثل عدد سوره ، والكتاب الكريم يتحدى الطاعنين بسورة الطوال كما يتحداهم بسورة القصار سواء بسواء

وكتاب الله الكريم نفسه دليل على صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن فى كل سورة منه دليل على تعجيز المجادلين وتحديهم مجتمعين فى امكان الاتيان بمثلها ونجد هذا التحدى واردا فى القرآن الكريم فى خمسة مواضع ..

الموضع الأول وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

البقرة ٢٣

الموضع الثانى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

الاسراء ٨٨

الموضع الثالث أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين

هود ١٣

الموضع الرابع أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .

يونس ٣٨

الموضع الخامس : أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين .

الطور ٣٣ ، ٣٤

لذلك فان المنكرين للقرآن الكريم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يقدروا على مر الأيام والسنين على معارضته ، لما يحتوى القرآن فى ذاته

على أدلة اثباته ،

كما أن الله سبحانه وتعالى قد حفظه من النقص والعجز والضياع والتحريف ، وذلك فى قول عز من قائل

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر ٩

وما يزال القرآن محفوظا وسيظل محفوظا الى ان تقوم الساعة ، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى قول عز من قائل :

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فصلت ٣

ان القرآن الكريم يحتوى على أدلة عديدة تزيد المؤمن ايمانا به وتجعل الكافر يعض على يديه من الغيظ ، لأنه لا يستطيع أن يدحض حججه وآياته البينات ، ولا يستطيع الا أن يقف عاجزا أمام القرآن الكريم ، حيث أن أدلة التعجيز تجعله محصورا مغلوبا على أمرة ، وهذا من أسرار كتاب الله العظيم ، وعجائب التنزيل .

ان القرآن الكريم يتحدى بادلته الواضحة وحججة القاطعة التى لا تقبل الشك ، يتحدى أضغاث الكافرين ودعاوى الطاعنين المتهافته ، فيقول عزمن قائل متحديا لهم :

« فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ... » البقرة : ٢٤

ويقول لليهود فى حجة قاطعة ودليل واضح

« قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . » الجمعة ٦ ، ٧

واذا ما أردنا أن نفرد بحثا فى أدلة القرآن الكريم احتاج ذلك منا لأكثر من كتاب ، اذ أن الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن القرآن الكريم هو من الله عز وجل مؤيد بالوقائع التى حدثت وتحدث فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى جميع العصور ، مثل قول عز من قائل

« لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون .. » الفتح ٢٧

وقد تحقق ذلك فعلا كما تحققت فى الآيه الكريمة

((الم ، غلبت الروم ، في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)). الروم ١ ٤

والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوب اليهود الذين أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، برغم أنهم يعلمون أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى ولذلك يقول عز من قائل

((والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)) الأنعام ١١٤

وهذا يدل على اعجاز القرآن الكريم وقدرته على الأفحام بحيث لا يملك الطاعن ردا أو دليلا فهو يقرأ ما في نفسه ظاهرا وباطنا فهل بعد ذلك اعجاز .. ؟؟

الفصل الثاني

الجدال الذاتي

١ ـ التكبر الابليسي

٢ ـ جدال عن النفس

٣ ـ جدال المتألهين

٤ ـ جدال الفرحين

٥ ـ جدال الماديين

٦ ـ جدال الكافرين

٧ ـ لجاج بني اسرائيل

التكبر الابليسى

احيانا يكون الجدل العقلى تكبرا وتجبرا وعصيانا وان تظاهر المجادل انه يخدم قضايا الحق والعدل

وربما كان أول من فتح باب اللجاج والمحاجة والجدل البعيد عن الحق ابليس اللعين اذ عصى أمر الله بالسجود لادم عليه السلام واستكبر ، ولما سأله الله تعالى عما منعه من السجود بعد، أن أمره ؟

قال « ما منعك الا تسجد اذ أمرتك » الأعراف : ١٢

يرد ابليس المعترض ، المحتج بأفضليته على آدم فى الخلق اذ أنه مخلوق نارى وأنه من الظلم أن يسجد وهو أشرف منزلة وأعلى مقاما لمن هو دونه ، وبذلك جادل الخالق فى أمر خلقه وهو المخلوق الضعيف الذى لا يقدر على شىء ، ونسب الى الله – كذبا وافتراء – الظلم ، وأبدى غاية التكبر والتجبر والعصيان ·

قال « انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » الأعراف : ١٢

وفى موضع آخر من كتاب الله يقص الله علينا ما ورد على لسان ابليس فى رفضه السجود لآدم

« قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون »
الحجر ٣٣

وكان ابليس اللعين يجادل الله فى أمر خلقه ، ويبدى اعتراضه على أمر الله متعللا بأن آدم مخلوق صلصالى كثيف وانه لو كان من نار أو نور لسجد له ··· ويطرد ابليس من الجنة نتيجة لعصيانه

« قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها » الاعراف : ١٣

« قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين »
الحجر ٣٥

ويستمر التحاور بين الله تعالى وبين ابليس العاصى الذى غوى بعد أن رفض الانصياع لأمر الله وتملكه الكبر فما يزال مصرا على رأيه فى آدم وذريته من انهم أقل منه مقاما ومنزلة وانه من السهل عليه غوايتهم وابعادهم عن طريق الحق برغم أن الله استخلفهم فى الأرض وطلب الى الملائكة السجود لأبيهم آدم ، وكأن الشيطان يريد أن يتحدى الله بجدل عقيم ليثبت له تعالى أنه كان على الحق عندما رفض السجود لآدم من البداية لذلك طلب من الله مهلة ليثبت له صدق ما يزعم :

« قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون » الحجر ٣٦

ويرد تعالى عليه

« قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » الحجر ٧

ويستخدم ابليس اللعين فى رده اللغو واللجاج ويكشف عن حقده أو كراهيته لبنى آدم وحبه للفتنة واتخاذه طريق الشر للغوايه ، ميله للهوى والشهوات واصراره على الضلال والاضلال

« قال رب أغويتنى لأزينن لهم الأرض ولأغوينهم أجمعين »
الحجر ٣٩

لكن الله تعالى بين له انه لن يستطيع أن يؤثر فى عباد الله المخلصين الصادقين وكل من سار على الصراط المستقيم

« ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »
الحجر ٤٢

ويتوقف التحاور حتى يأتى يوم البعث فيتقدم ابليس ومن اغواهم الى النار ... ثم يحظى المخلصون بجنات النعيم كما وعد رب العالمين

جدل النفس

لو صـــدق الانســـان مع نفســـه وعرف
حقيقتها ما دافع عن البـاطل أبدا ولظـــل
ينشـد الحقيقـة فى الدنيـا كما ســيراها
فى الآخرة

فالانســان يدافع عن نفســـه فى أغلب الأحـــوال ـ ظالمـــا كان أم مظلوما ـ ، محقا كان أم مبطلا ، ويحاول أن ينصر نفسه وأن يظهر أمام الآخرين دائما انه صاحب حق ويقنع الغير بصورته المتكاملة الخاليـة من العيوب والنقائص والضعف الشديد ..

واذا ما اكتشف البعض عيوبه وحاول أن يكاشفه بشأنها اعترض عليه وثار ثورة عارمة وتحداه واتخذه عدوا وربما ظل العداء سافرا مـــدى الحيـــاة ..

فالانسان وان وان خلق ناقصا ضعيفا الا أنه يحب أن يظهر أمام الغير قويا متكاملا حتى ولو اضطر الى الكذب والرياء والادعاء بالباطل

والدفاع عن النفس يتخذ صور متعددة منها

١ ـ الدفاع عن النفس ضد الاتهام بالجرم أو الاثم أو التقصير

٢ ـ الدفاع عن النفس ضد الاتهام بالجهـل

٣ ـ الدفاع عن النفس بالباطل

وفى حالة الدفاع عن النفس ضد الجرم ، أو الاثم ، يصر الانســـان على نفى التهمة عن نفسه ، وربما يلصقها بغيره ويحاول أن يقنع الآخرين بأنه برىء مما ينسب اليه من افعال او أعمال .

والأمر كذلك اذا اتهم بالجهل أو قلة العلم فانه يحـــاول أن يثبت للآخرين انه عالم خبير وأن من يتهمه هو الجاهل ، ويستشهد ولو زورا بمن

يراه منحازا له ...

وأما الدفاع عن النفس الاكثر خطورة ، فهو يتخذ صورة الدفاع عن الباطل فهو فى حقيقته يعد انحرافا وشرا مستطيرا فالذين يدافعون عن الباطل ويزيفون الحقيقة ، انما يهدمون القيم الكبرى ويضيعون على الناس التمسك باهداب الفضيلة ، الذى يؤدى بدوره الى الظلم العظيم فى هذا العالم .

« وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » غافر

اذا أتهم الانسان بجناية فانه فى الاغلب سيدافع عن نفسه ليبرىء ساحته ، ويثبت بالادلة والقرائن والحجج أنه لم يقترفها وأن غيره هو الذى فعل ذلك وربما يحكم القضاة بادانته رغم دفاعه المجيد عن نفسه لوجود شهود اثبات ولربما اقنع القضاة ببراءته من التهمة المنسوبة اليه ...

ويعد الدفاع عن النفس نوع من الجدل ، لكننا لا نستطيع أن نزعم أن هذا الجدل انما يبتغى الحق ، اذ أنه من الجائز أن يجعل من الباطل حقا ومن الحق باطلا وهذا النوع من الجدل بدأ مع بداية السفسطة فى المجتمع الاغريقى القديم (١) ..

لقد كان السوفسطائيون يستهدفون دحض حجج الخصوم والظفر عليهم بكل الوسائل ولم يكن الحجاج أو اللجاج يقصد به الوصول الى الحقيقة انما التاثير فى القضاة والمحلفين واستقطاب عواطفهم واثارة مشاعرهم للحكم فى صالحهم

ولقد كان السوفسطائى يوكل فى يوم ليدافع فى قضية نظير أجر كبير ضد متهم ليدينه وفى اليوم التالى تتغير الصورة عندما يوكل للدفاع عن نفس المتهم نظير أجر أعلى فيعمل على تبرئة ساحته ..

---

(١) للمزيد ، تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ص ٤٥ وما بعدها .

فليس الهدف طلب الحقيقة أو تحقيق العدالة انما تحقيق أكبر ربح ممكن من وراء ذلك الجدل العقلي

واذا كان مقدور الانسان أن يجادل عن نفسه في هذه الحياة فيطمس بعض الحقائق ، ويحكم في صالحه ظلما وعدوانا كما يظلم غيره نتيجة هذا الجدل الفاسد فيودع السجن أو ينفى من الأرض

فان ذلك لن يتكرر عند انتقال الانسان الى العالم الآخر اذ أنه لن يستطيع أن يفترى على الله الكذب أو ينافق أو يرائي أو يخفي الحقائق اذ ستشهد عليه كل حواسه من سمع ونظر وذوق وشم ولمس وستنطق جوارحه بالحق

« يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »
النور ٢٤

فاذا كان هناك أنواع من الجدل النفسي في هذه الدنيا يقوم على المغالطة والافتراء وخنق الحقائق واختلاق الأكاذيب وهو مما لا شك فيه جدل عقيم مستكره لكل نفس صدوق ولكل قلب سليم وعقل رشيد

اذا كان الجدل النفسي غالبا ما يقوم على الدفاع عن النفس بدون وجه حق في الدنيا ، فان هذا الجدل النفسي سيكون في الآخرة دفاعا عن النفس بالحق لقول عز من قائل

« يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » النحل ١١١

« وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » يس ٦٥

جـدل المتألهين

تقوم مساجلات بين فرعون وموسى عليه السلام ويستخدم فرعون الذى يدعى الربوبية أساليب الترهيب والترغيب والسخرية والتهكم والتحدى وكما يعترض على موسى عليه السلام ويقاطعه ليظهره أمام الناس ضعيفا

لكن موسى عليه السلام لا يتأثر بأساليب فرعون اللئيم الجدلية ويستمر فى الدعوة الى الله مبينا انه تعالى فاطر السموات والأرض وما بينهما

ولا يجد فرعون مناصا من دعوة الناس لحضور هذا الاجتماع بينه وبين موسى عليه السلام ، فيستدعى العلماء وأصحاب الرأى من رعيته ، ويستشيرهم فى أمر موسى عليه السلام الذى حيره أمره ولم يعرف كيف يصده او يرده او يغلبه ، ويقوم بينه وبين موسى عليه السلام - أمامهم - حوار لئيم ، لايقصد منه فرعون الوصول الى الحقيقة ، انما من أجل السخرية والتهكم ، الا أن موسى عليه السلام لا يتأثر بما يقول فرعون على الاطلاق ..

- قال فرعون « ومارب العالمين » الشعراء ٢٣

- يرد موسى : « قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين» الشعراء ٢٤

وينظر فرعون لمن حوله متعجبا من كلام موسى مستغربا

« قال لمن حوله الا تستمعون » الشعراء . ٢٥

ولا يتأثر موسى ولايتوقف عند مقاطعة فرعون له بل يستمر يدعو الى الله

« قال ربكم ورب آبائكم الأولين » الشعراء ٢٦

فيقاطعه فرعون ويتهكم عليه دون أن يرد عليه ردا موضوعيا انما يتهمه بالجنون .

« قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون » الشعراء ٢٧

وبرغم التجريح وذلك التهجم الأعمى والاستخفاف به وبدعوته ، يستمر موسى فى الدعوة الى الله :

« قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون »
الشعراء ٢٨

وعندما يسمع فرعون ذلك يتوعد موسى ويهدده بالسجن

« قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين »
الشعراء ٢٩

ويحاول موسى عليه السلام أن يرد عليه بالحسنى ويستخدم معه أسلوبا لينا عسى أن يستجيب لدعوته مع ابرازه للدليل المادى الذى يمكن أن يقنع غير المؤمنين

« قال أو لو جئتك بشيء مبين » الشعراء ٣٠

وينجح موسى عليه السلام فى اقناع فرعون بقبول التحدى ، ويوافق فرعون ليؤكد لنفسه ولمن حوله أن موسى من المدعين الكاذبين

« قال فأت به ان كنت من الصادقين » الشعراء ٣١

ويلهم موسى عليه السلام باستخدام العصا وهى دليل مادى فيلقيها أمام فرعون فاذا هى ثعبان مبين ، ثم ينزع يده من جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء

وينبهر الحاضرون بما يرون من معجزات موسى ، ويحاول فرعون أن يحط من قدر معجزات موسى ، ويسخر ويستهزئ به ويبين أن ما يفعله انما هو من قبيل السحر وأن موسى عليه السلام امام فى ذلك العلم

« قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم » الشعراء ٣٤

ولا يتوقف الجدل بين موسى عليه السلام وبين فرعون الذى يستشير حاشيته وفى نفس الوقت يزعم كذبا ليحجر على عقولهم ويخيفهم من موسى ويبين لهم انه يريد أن يخرجهم من بلادهم بسحره وينفر الناس منه حتى لايتبعوه

« يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون »
الشعراء ٣٥

وينجح فرعون فى استقطاب جماعة من رعيته فيصدقوا اختلاق فرعون بأن موسى ساحر ، ثم يشيروا عليه أن يدعو سحرة البلاد لمنازلته فاذا كان موسى عليما بالسحر فانهم أكثر منه بالسحر علما

« قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم »
الشعراء ٣٦ ، ٣٧

ويأتى فرعون بالسحرة الذين يساومون فرعون فى أمر هذا اللقاء ، ويتوقعون الانتصار على موسى ويشترطون على فرعون أن يجزل لهم العطاء ان انتصروا ، ويعدهم فرعون بالنعم والجاه والقربة منه ، فلما اجتمع السحرة

« قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون » الشعراء ٤٣

وعندما ألقوا حبالهم وعصيهم التى ظهرت أمام الناس كأنها حيات تسعى اعتقدوا أنهم منتصرون ، ثم ألقى موسى عليه السلام عصاه فاذا هى حية عظيمة تبتلع كل حياتهم ، عند ذلك سجدوا لموسى مصدقين

« قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون » الشعراء : ٤٧ ، ٤٨

وواضح أن فرعون لم يقبل اللقاء من أجل طلب الحقيقة وانما كان هدفه انتصاره على موسى فحسب بأى أسلوب ، فلما آمن السحره بموسى وثبتت دعوته الى الله كشر فرعون اللئيم عن أنيابه وتوعد السحرة وكل من آمن بموسى بالقتل والصلب ، ويرد الذين آمنوا مع موسى على فرعون قائلين

« انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين »
الشعراء ٥١

وينتهى جدال فرعون اللئيم بالخسران المبين ، اذ تستمر عداوته لموسى عليه السلام برغم ما قدمه له من الحجج الدامغة والأسانيد المقنعة وما يشفى الغليل الا أنه فرعون لا يقتنع وظل يستمرأ الضلال والاضلال ويطارد موسى عليه السلام ، حتى جاء وعد الله فأغرق فرعون ومن معه وأنجى المؤمنين

جـدل الفرحين

تجـبر قارون في الأرض وتكـــبر وطغى
وعندما فتن بالمـال
« قال انما أوتيته على علم عندى »

القصص ٧٨

يمتحن الله تعالى بعض خلقه وينعم عليه بكثير من النعم ليرى هل هو من الشاكرين ، كما يمتحن بعض خلقه بنقص في الأموال أو الولد ليرى هل هو من الصابرين ، وربما تكون الزيادة في المـال والولد والسلطان فتنـــه للعبد ، فاما أن يغتر بها وينسى حق الله فتنقلب هذه النعم نقما ، واما أن يحمد الله عليها ويزكى نفسه بها وينفق منها في سبيل الله فستكون له بذلك خيرا ونعما

ولقد وهب الله تعالى لقارون وكان من قوم موسى ، كنوزا زاخرة وأموالا طائلة بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقويـاء من الرجال ...

لقد ظن قارون نفسه فوق البشر وتكبر على قومه واغتر بنفسه غرورا عظيما ، وتوهم انه مخلد وماله في هذه الحياة ، وقد واجهه قومه بكلمات حق منذرين ومحـذرين من الاغترار بالمـال والافتتان بالجـــاه والفرح بما لديه

« لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين » القصص ٧٦

والقصة عبرة لمن يريد أن يعتبر من أصحاب الأموال في كل زمـان ومكان حتى لا يتملكهم الاغترار بما لديهم ، فلن يتحصلوا على مثل ما تحصل عليه قارون من الأموال ، ولمـا تملكه الاغترار ولم يستجب لنصح قومه له ، ونسى فضل الله عليه وتجاهل أن الله تعالى بقادر أن يهلكه وماله كما أهلك من قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب الأموال وخبرة في تحصيله ، ولم يستجب قارون لنصح الناصحين له وتمادى في غية وازداد غرورا وتكبرا

وتجبرا قال

« انما أوتيته على علم عندى » القصص ٧٨

واستمر قارون فى زهوه بنفسه وخرج على قومه فى زينته واستملح هذه الحياه حبا فى الجاه والاشارة اليه من بعض قومه الذين غرتهم الحياة الدنيا فأشاروا اليه باعتباره مثلا أعلى لهم وقالوا

« ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم »

القصص ٧٩

لكن الجدل لم يتوقف بين أصحاب الدنيا وأصحاب العلم النافع الذين لم تفتنهم الدنيا بأموالها وزخارفها وقالوا للذين فتنهم قارون بأمواله

« ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون»

القصص ٨

ولم يرجع قارون عن تكبره واغتراره بنفسه وقد فتن من فتن من قومه بأمواله وخدمه ، وكان لابد أن ينصر الله كلمة الحق ويظهر الباطل فى هذه القضية التى يجاهر بها حزب الشيطان ضد حزب الله ·

وصدر الحكم الالهى فى هذه القضية بخسف الله لقارون وبداره الأرض لتبتلع كل أمواله وزيناته ، ولم يستطع أحد من أنصاره أو أعوانه أن يمنع حدوث ذلك ولم يستطيع هو أن ينتصر لنفسه ··

وأفاق الذين تمنوا بالأمس ان يصبحوا مثل قارون ، وندموا على ماقالوا وحمدوا الله على هدايته لهم بالايمان والا لوقعوا فيما وقع فيه قارون ·

وهكذا تتغير مواقف الانسان من النقيض الى النقيض يطلب مالا ثم اذا ما اتضح انه سيكون سببا فى شقائه يتحسر أنه طلبه ويحمد الله انه لم يستجب لطلبه

وتكون الحظوظ الدنيوية من جاه وسلطان سببا فى تعاسة الانسان وشقائهم ومع ذلك يجادل البعض فى الحصول عليها والوصول اليها غير عابىء بالنهايات التى يقع فيها الكافرون ، لكن اذا ما تأمل الانسان ما يحدث، لعلم ان ارتباطه بالله واتباعه لأوامره والنهى عما نهى عنه هو الطريق الوحيد الموصل الى النجاة فى الدنيا والآخرة ·

جدل الماديين

رغم ان بنى اسرائيل أرادوا أن يكون لهم ملك ذو قوة يمكنهم من استرداد ديارهم التى خرجوا منها وتحريرا أراضيهم وذلك بعد موسى عليه السلام

وبرغم أن الله تعالى استجاب لطلبهم الا انهم كعادتهم السيئة وولعهم بالجدل السقيم استقبلوا نبأ تعيين « طالوت » ملكا عليهم بنوع من الاعتراض والاستنكار

« ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا : انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه • ولم يؤت سعة من المال »

(البقرة ٤٧

وهذا قياس مادى عقيم ، اذ ظنوا أن صاحب الثراء وحده هو الذى يمكن أن يتقلد منصب الملك دون غيره ، ولم يقبلوا بحكم الله الذى هو أعلم بمن يصلح لهم ومن لا يصلح

ان اختيار طالوت ملكا عليهم من قبل الله تعالى ، انما هو اختيار الرجل المناسب فى المكان المناسب (١) ، فالعاقل اذا أراد أن يختار فان اختياره انما للرجل المناسب للمهمة التى سيقوم بها • لا اختيارا بحسب الهوى

لذا فان رفض بنى اسرائيل لطالوت انما لأنهم ظنوا ان الملك لابد أن يكون متكبرا صاحب غطرسة واستعلاء ولم يكن طالوت الذى اختاره الله لهم كذلك ، فرفضوا أن يكون ذلك الرجل الذى هو من عامة الناس ملكا عليهم وليس بذلك حسب ولا نسب ولا جاه انما عليما وكان ذا بسطة فى الجسم تؤهله للقيادة العسكرية

« قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم »

البقرة ٢٤٧

---

(١) الشيخ متولى الشعراوى — اللواء الاسلامى عدد ٣ رجب ١٤٠٤ هـ

وهذا ما يجعل « طالوت » صالحا لتولى القيادة ولاسترداد أراضيهم والرجوع الى ديارهم المغتصبة ..

لقد أعطى الله تعالى « لطالوت » من المؤهلات ماليس عند غير من بنى اسرائيل ومع ذلك أنكروه .. أعطاه قوة فى الجسم وحكمة وعلما . ومع ذلك آثاروا اللجاج ولم يزعنوا للأمر الالهى لكن الله يعلم من يصلح ومن لا يصلح لذلك يرد الله تعالى عليهم

« والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم »

(البقرة : ٢٤٧)

جدل الكافرين

عندما انتقلت خديجة رضى الله عنها الى الملأ الأعلى بعد أن شاركت الرسول صلى الله عليه وسلم فى جهاده لنصرة دين الحق وصدقته حين تخلى عنه الناس فكانت الصدر الحنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم مات عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان نعم المدافع عنه ضد عدوان القرشيين ٠

فلما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وحيدا بعد انتقال خديجة رضى الله عنها وهلاك أبى طالب ، مشى الى الطائف يلتمس نصرة ثقيف بعد ان تمادت قريش فى غيها واستمرأت عدوانها وأذاها

وانتهى الرسول صلى الله عليه وسلم الى اخوة ثلاث فى الطائف هم عبد ياليل ومسعود وحبيب ابن عمير ، وفى الطائف دعا الاخوة الثلاثة الى الاسلام فقال الأخ الأول عبد ياليل ردا على دعوة الرسول له الى الاسلام ، وهو يمسك بقطعة من ثياب الكعبة ٠٠ يقول للرسول فى سخرية بالغة

- هل أرسلك الله الينا ؟ ويقول الأخ الثانى مسعود بن عمر فى تبجح

- أما وجد الله أحد يرسله غيرك ؟

ويستخدم الأخ الثالث سفسطة عقيمة وجدلا باطلا فيقول موجهها حديثه الى الرسول صلى الله عليه وسلم

- والله لا أكلمك أبدا ٠٠٠ لأنك ان كنت رسولا من الله فأنت أعظم خطرا من ان أرد عليك الكلام (ان أجادلك) ٠

وان كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أيضا ان أكلمك « كاذب » ،

فلما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حالهم تملكه اليأس من الخير فيهم وفى ثقيف وقام من عندهم وتوجه الى الله سبحانه وتعالى ان يعينه عليهم

ولجأ الى بستان جلس فيه مبتعدا عن السفهاء من بني ثقيف ورفع يديه الى السماء وقال

اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على النـاس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ... الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

سمع عتبة وشيبة ابن ربيعة صاحب البستان وعاد الرسول فتحركت فى قلوبهما صلة الرحم فارسلا غلاما لهما يدعى عداس وهو نصرانى الديانة وحملاه طبقا من عنب البستان ليقدمه للرسول صلى الله عليه وسلم ، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده فى الطبق وقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل ، فنظر عداس للرسول وقال

ان هذا الكلام الذى قلت لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال الرسول من أى البلاد أنت ياعداس ، وما دينك ، قـال النصرانى ، من أهل نينوى ، قال الرسول

من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، قال وما يدريك بيونس بن متى .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم

يونس أخى كان نبيا وانا نبى ، فاذا بعداس يكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبل رأسه ويديه وقدمه ، وينظر صاحبا البستان شيبة وعتبة أحدهما الى الآخر وهو يقول :

لقد افسد عليك غلامك حتى اذا حضر الغلام قالا له ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال الغلام ما فى هذه الأرض ياسيدى شيء خير من هذا « الرجل » ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى صلى الله عليه وسلم .

لجاج بني اسرائيل بين الماضي والحاضر

اعتاد بنو اسرائيل على التلكؤ والتردد واللجاج ، واستخدام الجــدل الخطابي الذي لا معنى له ولا سند له من الحقيقة ، ولا يحمل أي حجة مثبتة ، وامتد جدالهم الى أنبيائهم في التلكؤ في تنفيذ أوامر الله •

ويمكن للمتأمل أن يلاحظ ذلك في تاريخهم الماضي ، وفي أحوالهم الحاضرة •• فما من قضية من القضايا يكون فيها الحق ظاهرا الا ويضعوا العراقيل أمامها حتى لا ينفذوا ما أجمع القضاة العدول على اصدار الحكم فيها بالحق ولا يضطروا الى تنفيذ أي عادل الا اضطرارا أو اكراها ، ثم ما يلبثوا ان ينقضوا ما أقر على أنه حق لا شك فيه عندما يجدوا أنفسهم قد ملكوا سهما نافذا يطعنون به خصومهم •

لقد قتل في عهد موسى رضي الله عنه قتيل ، فاستشاروه ماذا يفعلون في هذه الجريمة فقال لهم موسى عليه السلام كما ورد عن عز من قائل

« ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة »

البقرة : ٦٧

لقد اراد موسى عليه السلام من ذبح البقرة أن يكون ذبحها مفتاحا لمعرفة القاتل ، لكن نظرا لترددهم في كل شيء ولجاجهم ، جادلوه فيما يعرض عليهم ، وقالوا له برغم أنهم يعلمون بنبوته

« أتتخذنا هزوا » البقرة ٦٧

فاجاب موسى عليه السلام في ثقة بالله كما ورد عن عز من قائل

« اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين »

البقرة ٦٧

ولما كانت اجابة موسى على لجاجهم مقدمة بشكل لا يحتمل منه التلكؤ في تنفيذ ما أوصاهم بعمله من ذبح بقرة ، فانهم وان سلموا بالمبدأ ظاهريا ، الا أنهم أرادوا يتلكؤا في تنفيذ الأمر فقالوا

« ادع لنا ربك أن يبين لنا ما هي »

(البقرة ٦٨)

وصبر موسى عليه السلام على لجاجهم فى الحق ، فأوحى اليه ربه ان يقول لهم

((انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون))

البقرة ٦٨

بين لهم موسى وصف البقرة كما طلبوا ، فهى بقرة وسط ليست عجوز وليست صغيرة ، وان عليهم بعد هذا اللجاج أن ينفذوا أمر الله بدون تأخير، لكنهم جبلوا على الجدل الخطابى واللجاج والحجاج لتقويم الموضوعات ، والتمادى فى الأقوال والأفعال ، فجادلوا موسى عليه السلام فى لون البقرة وقالوا له

« قالوا أدع لنا ربك أن يبين لنا ما لونها »

البقرة ٦٩

كان المفروض أن يضيق موسى عليه السلام ذرعا بما يسألونه وما يحملونه من طلبات لا معنى لها لكن أوحى اليه ربه أن يقول لهم

((انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر النظرين))

البقرة ٦٩

لكنهم مع ذلك لم ينفذوا الأمر ، بل تمادوا فى التلكؤ والجدال ، وقال لموسى عليه السلام

« أدع لنا ربك يبين لنا ما هى أن البقر تشابه علينا »

البقرة ٧٠

أوحى الله الى موسى أن يصبر عليهم ، وأن يقول لهم :

« انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها »

البقرة ٧١

بعد أن بين لهم موسى أوصاف وخصائص ولون وعمر البقرة المطلوب ذبحها ، فضلا عن تبيان أنها ليس بها عيب وأنها لا تذلل بالعمل ولا بالزراعة

ولا يسقى الأرض قالوا

« الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون »

البقرة ٧١

فاذا كان الاسرائيليون يجادلون أنبيائهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين ، فما بالك بمجادلتهم وتحاربهم فى الحق مع غير الأنبياء ...

ولا يختلف اليهود عن يهود الامس والماضى البعيد فان فى جبلتهم حب الجدال واللجاج والرغبة فى المماطلة مهما كان الأمر واضحا وضـــوح الشمس

فكم أصدرت الأمم المتحدة من قرارات وكم حكم مجلس الأمن بأحكـــام فيما يتعلق بقضيه فلسطين ميعها اليهود ، وجعلوا من الحق باطلا ومن الباطل حقا لهم ، وكم ترددوا وتلكؤا فى تنفيذ ما أوصى به شعوب العالم أجمع ، بحيث أصبح معروفا أن اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تنصاع لحكم الأمم المتحدة ولا لنصيحة الدول الكبرى والصديقة ...

لأنهم كما سبق القول قد نشأوا وفى جبلتهم التردد والتلكؤ وكراهيـة الحق وحب الباطل وسيبقوا كهذا الى أن تقوم الساعة ، ولا علاج يصلح معهم الى أن ينصاعوا الى الحق كارهين وأن يضطروا الى التسليم اجبارا لا اختيارا ، وبذلك يتم نصرة المظلومين فى فلسطين ....

الفصل الثالث

جدل بين الحق والباطل

١ ــ جدل حول الحياة والموت

٢ ــ دار لا تخرب أبدا

٣ ــ جدل بين الحس المادى والهدى الربانى

٤ ــ كلمة واحدة

٥ ــ جدل بيعة العقبة

٦ ــ جدل مع الرسول

٧ ــ جدل حول الأقانيم الثلاثة

جدل حول الحياة والموت

يثور الجدل من قديم الزمان حول الموت وبرغم أن هذه القضية محسوم أمرها ، اذ يعد الموت حقيقة الحقائق ، فكل انسان ذائق الموت وكل ما على هذه الأرض فان ، الا أنه لا يزال بعض الجاهلين لاغترارهم يجادلون في أمر الموت والحياة ، ويقفون موقف الشك حينا والتحدى حينا ، ويدعون لأنفسهم قدرات ومواهب ما أنزل الله بها من سلطان وهم واهمون في ادعاءتهم ظالمون لأنفسهم ، وكأنهم يعيدون الكرة فيما ادعاه فرعون موسى ، ويصرون عنادا على الجدل فى قضية خاسرة لا يكسبون منها الا لخسران المبين ، لقد افترى رجل آتاه الله الملك على الله الكذب ، فقد قال له ابراهيم عليه السلام

« ربى الذى يحيى ويميت »

قال انا أحيى وأميت » البقرة ٢٥٨

ولم يتمادى ابراهيم عليه السلام فى جداله فى أمر الموت والحياة حيث أن هذا الملك يمكن أن يقتل بعض الابرياء ظلما ليثبت أنه قادر على اثبات دعواه ثم يطلق سراح بعض المساقين الى الموت ليزعم أنه كتب لهم الحياة وهذا ان تم فبأذن من الله ٠

ترك ابراهيم عليه السلام جدله مع الملك فى قضية الحياة والموت ، ونقل الحوار الى قضية أخرى لا يستطيع الملك أو غيره أن يتحدى فيها فمادام هو يدعى الالوهية وله قدراته تعالى فان عليه أن يثبت ذلك ان كان من الصادقين

« قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب »
البقرة ٢٥٨

وهنا يظهر عجز الملك وضعفه وقلة حيلته فلم يستطع لهذا السؤال جوابا بل اذهلته المفاجأة

« فبهت الذى كفر البقرة ٢٥٨

ويتخذ الجدل حول الحياة والموت موقف الشك عندما يتساءل أحد المجادلين في اعادة القرية الميتة الى الحياة :

« قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها »   البقرة ٢٥٩

فاراد تعالى أن يجعله آية للناس

((فأماته الله مائة عام ثم بعثه))   البقرة : ٢٥٩

« قال كـم لبثت ·· قال لبثت يوما او بعض يوم ·· قال بل لبثت مائة عام   البقرة ٢٥٩

يقسم الانسان السنين التي شهور وأيام وساعات ولحظات ، والى ماضى وحاضر ومستقبل ، وطفولة وشباب وكهولة وشيخوخة ، لكن هذه التقسيمات في حسابات الانسان وحده ، وليست بالقطع يتم ذلك في حساب الله يقول تعالى

« وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون »   (الحج : ٤٧)

ففى المنام يمخر النائم بحرا ويصعد جبالا ويهبط وديانا ويجول في في أنحاء البقاع ، يقابل هذا ويعادى هذا ويصادق هذا وربما يعيش حياة طويلة في منامه ثم يستيقظ فاذا ما عايشه في رؤياه لا يتعدى لحظات قليلة في حساباته الدنيوية فهل هذه الحسابات صحيحة » والأمر على النقيض في اليقظة فان ما يعانيه الانسان في حياته من أحداث وما يتعلمه من خبرات وما يخضع له من بسطة في الجسم ونضوج في العقل كلما كبر في السن ··· يجعله يشعر بالفروق الزمنية ،ويبنى احكامه على مقياس ثابت يسميه الزمن يظن انه الحق مادام يصدق مع حياته الدنيوية ·

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هل حسابات الانسان الدنيوية تواكب حسابات المشيئة الالهية ؟ ··

يقول تعالى مبينا للانسان خطأ حساباته الدنيوية :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو »   (محمد ٣٦)

فكانما دنيانا لعبة برغم أننا نخطط لها ، ونعمل جاهدين الى طـــول

الأمل فيها ، وهي نوع من اللهو الذى لا طائل من ورائه ولا يعول عليه الا بقدر ارتباطها بالآخرة التى هي المستقر الدائم والحياة الحقة

وبناء على ذلك فان كل حساباتنا وتقديراتنا الدنيوية لعب ولهو وزينة كمن يبنى قصوره فى الرمال ، أو كلاعب النرد يظن أنه فعلا يكسب ويخسر وهو فى حقيقة الأمر يلهو ويعبث ويضيع وقته ، اذ أن حساباته متوهمة وتقديراته ظنية فحسب ••• لكن لضعف الانسان وعجزه عن الاحاطة بحقيقة حياته ، يزعم لنفسه اغترارا

« ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين »

المؤمنون ٣٧

يظن افتراء على الله ان حياته هى الحياة الحقة ولا حياة بعدها ولا بعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب والا ثواب ، وبذلك تخمد جذوة الايمان فى قلبه ، وتتقاذف نفسه سبيل العمه ، ويبطل عمله ويسقط فى براثن الضلال عند اعلانه التحدى للمشيئة فيقول الانسان الضال المضل

« أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما اننا لمبعوثون »

المؤمنون ٨٢

لكن المؤمن بالله يشجب هذا الزعم ، ويؤكد على أن الله تعالى هو الخلاق العليم بيده أمر الحياة والموت ، وهو على كل شيء قدير ، فهو وحده الحي الذى لا يموت ، وكل نفس ذائقة الموت ، .وبعد الموت حياة أخرى ثم بعث ونشور

« والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا ••• »

مريم ٣٣

لكن انسان هذا العصر قد تمادى في غيه ، وركب غرور عقله ، واستبد به الوهم ، وغلبه الظن ، فقدر من عنده يأته الاسباب والمسببات والعلل والمعلولات وجعل من حساباته العقيمة دستور «فى الحياة ومن تخمیناته مسلمات لا تقبل الشك ، فادعى وما أكثر ما ادعى انه يستطيع أن يخلق معدوما ، ويبتكر جديدا ، وانه فى القريب العاجل سيستطيع بعلمه

أن يطيل الحياة ويقصرها كما يشاء ، وانه مقصـــور القراء انه يفضـــل استكشافاته الجديدة سيسيطر على الموت ٠

وبالجملة يزعم انسان هذا العصر كما يزعم الأولون انهم بحساباتهم سيحددون رحلة الحياة والموت فيقول كذبا وافتراء :

« لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ٠٠٠ » آل عمران ١٥٦

وهذه الادعاءات تدل على اغترار الانسان وبعده عن الاستقامة ، وانه يتجاوز حدوده ويسرف في أمره ويظلم نفسه عندما يعاند الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها فبئس ذلك من مصير

ان أمر الموت والحياة بأمر الله فبيده سبحانه وتعالى أن يمد أجل الانسان الى أرذل العمر ، أو تقنيص عمره الى للحظات أو ساعات أو شهور أو سنوات ، كل ذلك لحكمه يعلمها هو وحده الا اذا أعلمها لبعض عباده كما حدث في قصة موسى والخضر عليهما السلام عندما وجد غلامـا فقتله فاحتج موسى قائلا كما يحكى عنه عز من قائل

« أقتلت نفسا زكية بغير نفس »

ويستمر التحاور بين موسى والخضر الى أن يطلعه الخضر عليه السلام على حكمة قتل الغلام ٠

يقول عنه عز من قائل

« اما الغلام فكان أبواه مؤمنين »

« فأراد ربك ان يبدلهما خيرا منه زكاة »

(الكهف : ٨٠ ، ٨١)

أطلع الخضر موسى على حكمة الله البالغة وحججة الدامغة في أمر قتل الغلام ، وحتى لا يكون جبارا في الأرض فقد قتله بأمر الهى حتى يجزى الله ابويه بمن هو خير منه كمكافأة لهما على صلاحهما واستقامتهما

وربما نشعر لأول وهلة بالظلم عندما تحدث هذه الحادثة المروعـــة

في حياتنا ونعترض على ما حدث ٠

ولكن المتأمل لهذه الحادثة يدرك لطيفة اللطائف .وهي أن الغلام قد استفاد بما حدث له حتى لا لا يتمادى في غية ووقوعه في الضـــلال المبين لأن في موته صغيرا تلطف له ولوالديه ٠

دار لا تخرب أبدا

بنى ملك من الملوك قصرا ضخما آية فى فن العمارة والذوق الجمالى ، وفتح أبوابه لاستقبال الناس ودعوتهم الى الطعام فيأكلوا ويسعدوا وهم له شاكرون .

وكان رجال الملك يسألون كل زائر هل ترون فى القصر عيبا ، وكان يسمعون دائما كلمات الثناء والمديح ...

الا تصادف أنه ازر القصر رجلان قالا عندما سئلا هل هناك من عيب فى القصر ؟ نعم هناك بالقصر عيبين وليس عيب واحد ...

وقاد رجال القصر الرجلين الى الملك لاستجوابهما فقا لهما الملك ما هو العيبان اللذان فى القصر ؟ ...

فقال فى القصر عيبين أولهما أنه سيخرب ويهدم حتما وإما ثانيهما فان صاحبه سيموت حتما ...

فقال الملك لهما وهل هناك دار لا تخرب أبدا لا تهدم أبدا وهل هناك صاحب دار لا يموت أبدا

فقال الرجلان نعم أيها الملك

فقال الملك : أى دار هـذه ؟

فقال الرجلان دار الآخرة أيها الملك لا تهدم ولا تبلى ولا تخرب أبدا .. وأصحابها خالدون فيها لا يموتون أبدا ...

فقال الملك وهو يبكى بكاء مرا حقا ان دار الدنيا دار الغرور واننا راحلون عنها عن قريب ... الى دار الخلود أما الى العذاب المقيم الى جنات وعيون ...

فقال الرجلان هذا حق أيها الملك .. فان لم تعمل لآخرتك من الآن فقد ضيعت دنياك وآخرتك ...

فقال الملك باكيا فما العمل والعمر قصير .ورحلة الدنيا كادت

أن تنتهى ٠٠ ٠

فقال الرجلان   أن تاتى معنا   لتعبد الله ٠٠

قال الملك   لو خرجت معكما الآن ٠٠ لتعنى أهلى وجندى من مصاحبتكما ولكنى على موعد معكما غدا ٠٠ في مكان تعرفانه

وصدق وعد الملك وترك ملكه وصولجانه وقصره الفخم الضخم المنيف وانضم الى الرجلين الزاهدين فى صومعتهما يعبدون الله حق عبادته

لقد ترك الملك داره فى الدنيا ابتغاء مرضـاة الله وطمعـا في دار الاخرة التى لا تبلى ولا تخرب أبدا ٠٠

فهل أخطأ الملك أم أصاب ، وهل يستجيب الله لدعائه فيدخله جنتـه ويرحمه رحمة واسعة ٠٠٠ أم يحاسبه على تركه الملك والسعى من أجل تعمير الدنيا وخدمة الرعية ٠٠٠ الله أعلم وهو الغفور الرحيم

جدل بين الحس المادى والهدى الربانى

عندما يتحقق لبعض الكفار الثراء يزعمون فى اغترار أنهم وصلوا الى مايصلوا اليه من نعم عن جدارة واستحقاق ، ويستخدمون اللجاج والحجج المادية للتدليل على صدق رأيهم ...

ويذكر لنا الله فى كتابه العزيز أنواعا من المغترين الذين زعموا لأنفسهم حولا وقوة ، ومن هؤلاء الأغنياء الذين جادلوا بالباطل جدلا ماديا ، صاحب الجنتين وقد رزقه الله تعالى حديقتين من الفواكه والأعناب تحف بها أشجار النخيل المثمرة ، وزروعا أيضا مثمرة .. كما رزقه بعشيرة كبيرة وانصار

ولصاحب هذه الحديقتين اخ مؤمن فقير لم يحظ بما حظى به الكافر من نعم ، فتملكه العجب بنفسه والاغترار بما أنعم عليه ، فقال لأخيه الفقير مكابرا متعاليا عليه مستهزءا به

((أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ...)) الكهف ٣٤

- ولم يجب المؤمن الفقير لانه يعلم أن المال مال الله يعطى من يشاء ويمنعه عمن يشاء يهب لمن يشاء ذكورا ويهب لمن يشاء أناثا لكن صاحبه الكافر الثرى تطاول فى لجاجة وقد غفل عن ربه واطاع هوى نفسه فظلمها واشتد فى لجاجه الفاسد قائلا :

« ما أظن أن تبيد هذه أبدا » الكهف ٣٥

ثم يستطرد فى تبجح واغترار

« وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا » الكهف ٣٦

يتدرج الكافر الذى أنعم الله تعالى عليه بالمال والجاه والنعم ، من الظن بغير علم ولا هدى أن ثراءه لن يزول أبدا وأن ما أعطى له من نعم ستبقى أبدا ..

- ثم يتدرج فى جدله الفاسد الى انكار قيام الساعة ، لأن قيام الساعة معناه فى ظنه نهاية النعم الدنيوية - لكنه امعانا فى الكفر - فانه يفترض

جـــدلا أن هنـــاك بعثـا وأنه فى حـــالة رجـــوعه الى الله كما يزعـــم صاحبه المؤمن فانه هناك أيضا سيجد عند ربه جنة من جنته الدنيوية عاقبة له عن استحقاق لأنه من أهل النعيم فى جميع الأحوال ، وهـــذا قياس الغائب على الشاهد ، كما يقول المناطقة ، وهو قياس مادى فاسد ، اذ أن الغائب وهى الحياة الأخرى انما تحصل فيها الجزاء كثمرة على الايمان وفعل الخير

وكان لابد لصاحبه المؤمن ان يوقف ذلك المغرور عند حده وقد تمادى فى غنة وتدرج من مقولة فاسدة الى مقولة افسد ، من ظن كاذب الى ظن أكثر كذبا وافتراء على الله ٠
قال له صاحبه وهو يحاوره

« أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفه ثم سواك رجلا »
الكهف ٣٧

هذا الحوار بين مؤمن وكافر ، يدل على ان جدل الكافر أبدا مـــادى حسى ، لأنه مرتبط بالاعتماد على المـال والعصبية ، وجميعها مؤقت وزائل ، أما المؤمن فان اعتماده ولو كان فقيرا فقرا مدقعا فان اعتماده على الله لأنه هو الخالق وهو الرزاق وهو على كل شيء قدير ٠

والمؤمن من يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى لذلك ينصح صـــاحبه الكافر ويقول له كلما ورد عن عز من قائل

« عسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا » **الكهف : ٤٠**

وتنتهى هذه المحاورة بين المؤمن والكافر ، استجابة الله سبحانه وتعالى بتأييد من الله سبحانه وتعالى له ، فاهلكت الجنة وأبيدت عن آخرهـــا ، وأخذ الكافر يقلب كفيـه ندمـــا وحسرة ، وتمنى ان لم يكن قد أشرك بربه ، ولكن بعد فوات الأوان ٠

وواضح أن الكافر يرتب النتائج المادية على مقدمات ليظن كذبا أنه مادام يمتلك المال الوفير ، والجاه العريق مان ذلك ، سيستمر أبد الآبدين وأنه لن يزول عنه أبدا لعلم أو ذكاء عنده من جداره واستحقاق ٠

والكافر يعيش هذه القياسات الفاسدة دون أن يدخل المشيئة الالهية انما ينكرها كل الانكار ، ويظن وهو ظالم لنفسه ، بجدله النفسي الفاسد أنه بقادر دوما على الظفر والانتصار

وينسى أن الله تعالى يمهل ولا يهمل ، وأنه على كل شيء قدير

كلمة واحدة

عندما علم القرشيون بمرض أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض

« لقد دخل حمزة الى الاسلام ، كما اسلم عمر بن الخطاب وأصبح الاسلام خطرا عليكم ، اذا انتشر فى القبائل كلها فماذا أنتم فاعلون »

واتخذ القريشيون بعد مشاورة بينهم قرارا ، وهو الذهاب الى أبى طالب وهو على فراش المرض ، وذلك ليأخذ من ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم عهدا بعدم التعرض لهم كما يعطونه عهدا بعدم التعرض له .

ذهب لفيف من القريشيين الذين وقع عليهم الاختيار الى أبى طالب فعرضوا عليه الأمر وكان ممن كلمه فى ذلك عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب وجميعهم من أشراف قريش .

وعند المقابلة قالوا لابى طالب

يا أبا طالب إنك منا حيث علمت ، وقد حضرك ما ترى (المرض) ونحن تخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك « من عداوه » فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، ليدعنا وديننا وندعه ودينه .

بعث ابو طالب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فحضر ، فقال له أبو طالب « يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومنا حضروا اليك ليعطوك ويأخذوا منك

فقال النبى صلى الله عليه وسلم

« نعم ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم العجم »

فقال أبو جهل   نعم رأيك ، كلمة واحدة وعشر كلمات ٠

قال صلى الله عليه وسلم

تقولون لا اله الا الله ٠٠ وتصنعون ما تعبدون من دونه ٠

فصفقوا بأيديهم فى تعجب وقالوا

أتريد يامحمد ان تجعل الألهة الها واحدا   ان أمرك لعجيب ، ثم قال بعضهم لبعض

ان هذا الرجل والله ما بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وأمضوا على دين أبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا ٠٠٠

وقد وصف الله تعالى فى كتابه العزيز أفاليطهم ، فقال عز من قائل على لسانهم

« اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب »   (سورة ص : ٥)

« وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشىء يراد »

(سورة ص أية : ٦)

جـــدل في بيعة العقبة الأولى

حضر من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب (١) ٠

ويذكر عبادة بن الصامت (٢) انه كان ممن حضر العقبة الأولى من بين الاثنى عشر رجلا المذكورين وقد نصت البيعة الأولى على ما يأتى :

١ ـ عدم الشرك بالله (أى لا نشرك بالله شيئا) ٠

٢ ـ عدم السرقة (الا نسرق)

٣ ـ عدم الزنا (لا نزنى) ٠

٤ ـ عدم القتل (لا نقتل أولادنا)

٥ ـ عدم الاتيان ببهتان (الا نأتى ببهتان نفتريه) ٠

٦ ـ عدم العصيان فى معروف (لا نعصى فى معروف) ٠

فان وفيتم فلكم الجنة ، فان غشيتكم (نقضتم) من ذلك شيئا فأمركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم ٠

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير مع وفد العقبة ليعلمهم القرآن وأركان الاسلام ويفقههم فى الدين ، لذلك سـمى مصعب عندما توجه الى المدينة المقرىء وكان ينزل على أسعد بن زرارة من عدس أبى امامة ٠٠

وكان سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير سيدا قومهما وكلاهما مشرك لم يدخل الى دين الاسلام ٠٠

سمعا المشركان سعد وأسيد أن مصعب بن عمير فى ديارهما يدعـو ضعفائهما ويدعو الى غير دينهما ، وقال سعد بن معاذ لولا أن سعد بن زراره

---

(١) السيرة النبوية جـ٢ لابن هشام ص ٥٦ ـ ٥٧

(٢) نفس المرجع ٠

الذى يأوى ويجد مصعب فهو ابن خالتى لكان لى معه شأن آخر

فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم انتهى الى سعد بن زرارة، ومصعب بن عمير فقال سعد هذا سعد بن معاذ سيد قومه قد جاءك فأصدق فيه الله ... قال مصعب : ان يجلس أكلمه ..

فوقف سعد بن معاذ هاصبا ثم قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا ؟ ... اعتزلا ان كان بنفسكما حاجة ..

قال مصعب أو تجلس فتسمع !! فان رضيت أمرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكره ؟

قال أسيد انصفت ثم ركز حربته وجلس يستمع اليه وقرأ مصعب على سامعه القرآن وكلمة عن الاسلام

فعرفا فى وجهه اشراقه التوحيد ونور الاسلام قبل أن يبدأ حديثهما معه ...

قال ما احسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون اذا اردتم أن تدخلوا فى هذا الدين

قال مصعب نغتسل ونتوضا ونطهر الثياب . فقام واغتسل وطهر ثيابه ثم دخل الى الصلاة ... وفعل الذين دخلوا فى الاسلام مثلما فعل

جدل مع الرسـول

لم يقتصر حرب القريشيين للرسول صلى الله عليه وسـلم ، على استخدام الأسلحة بأنواعها ، بل أيضـا استخداموا اسلوب الحرب النفسـية واللجاج والحجاج والجدل المبطل - من أجل محاربة دعـوة « لا اله الا الله » بهدف تحقيق أهوائهم وحظوظهم النفسية وشهواتهم الشخصية لكن الله سبحانه وتعالى أراد بحججه الدامغة ، وحكمته الواسـعة أن ينشر دين الله برغم أنف المشركين وجدل المبطلين ودعاوى الكافرين ولجاج المنافقين وأدلة الفاسقين

١ ـ جدل في ذات الله :

أقبل رهط من اليهود على رسول‌الله صلى الله عليه‌وسلم وقالوا له(١): يامحمد ··· هذا الله خلق الخلق ··· فمن خلق الله ؟

فغضب الرسـول صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لـونه ، ولم يكن غضبه الا غضبا لربه فاذا بجبريل عليه السلام يحضره ويسكن غضبه ويقول لـه

هون عليك يا محمد ·· ثم ياتيه بجواب لسؤال اليهود اذا ما سألوه

« قل هو الله احد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد »
(سورة الاخلاص)

ثم تلاها عليهم لكن اليهود لم يسكتوا وانما طالبوه بما هـو اكثر قالو (٢) فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟

فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وامتقع لونه وكان غضبـه في هذه المرة أشد من المرة الأولى ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له هون عليك يامحمد وجاءه بجواب لما سألوه بقول الله تعالى :

---

(١) أسباب النزول ـ للامام السيوطي ص ١٨٥ ـ ١٨٦
(٢) نفس المرجع ص ١٤٦

« وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعـــا قبضته يوم القيـــامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »

الزمر ٦٧

ويتساءل كثير من الفلاسفة هذا التساؤل في كل زمان من خلق الله ؟ حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول يوشك الناس أن يتســـاءلوا بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله فمن خلـــق الله ؟ فاذا قالـــوا ذلك يقولوا

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

ثم يستطرد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

« ثم ليتفل عن يساره ثلاثا ويستعذ بالله من الشيطان الرجيم »

٢ ـ جدل حول القرآن (١) :

اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا من قريش يريدون جدل الرسول قالوا « أحق يامحمد ان هذا الذى جئت به لحق من عند الله فانا لا نراه متسقا كما تتسق التوارة ؟ ..

قال الرسول صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ، ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به ...

قالوا أما يعلمك هذا انس ولا جن ؟

قال الرسول صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون أنه من الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة

قالوا يامحمد ... فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ويقدره منه ما اراد فانزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ، والاجئناك بمثل ما تاتى به (١)

---

(١) أسباب النزول ، للامام السيوطى ص ١٨٣

فانزل الله تعالى فيهم وفى لغوهم وجدلهم :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أى عونا) »
(الاسراء ٨٨)

٣ - مغالطات المجادلين (١) :

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام ، وأبلغهم برسالته اليهم ، وقال زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن يغوث ، وأبى ابن خلف ، والعاص بن وائل ، قالوا جميعا فى نفس واحد

« لو جعل معك يامحمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك » (١)

فاوحى الله الى نبيه مايرد به على كيدهم ويخرس به ألسنتهم ويوقف لغوهم ولجاجهم :

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ، ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون »
(الأنعام ٩)

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد الأول الجزء الثانى ص ٢٤٨ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا دار التراث العربى للطباعة والنشر

جدل حول الأقانيم الثلاثة

يزعم بعض النصارى أن الله واحد فى ثلاثة أو ثلاثة فى واحـــد ، ويرون أن عيسى عليه السلام تارة هو الله وتارة أخرى هو والد الله أو ابن الله وطورا ثالثا هو ثالث ثلاثة ...(١)

١ - ادلتهم على ان عيسى الله (٢) :

يستدلون على أن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله ويحتجون على ذلك بالآتى

١ - أنه كان يحيى الموتى

٢ - يبرىء الاسقام .

٣ - يخبر بالغيـــوب .

٤ - يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بامـــره ولكن ذلك كله كان بامر الله تبارك وتعالى « وليجعله آية للناس » .

٢ - ادلتهم على ان عيسى ابن الله :

يستدلون على أنه ولد الله ويجتمعون على ذلك بالآتى

١ - لم يكن له أب معلوم او معروف .

٢ - تكلم فى المهد صبيا .

٣ - وهذا ما لم يحدث لاحد من ولد آدم قبل عيسى عليه السلام

٣ - ادلتهم على انه ثالث ثلاثة :

١ - لو كان الله واحدا ما قال فعلنا وامرنا وخلقنا وانما يقول فعلت وخلقت وأمرت

٢ - فالذى يفعل ويأمر ويخلق الله وعيسى بن مريم

لقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأقوال من بعض النصارى

---

(١) راجع رسالة يوحنا الرسول الأولى ، الاصحاح الخامس ، الفقرة الثانية

(٢) للمزيد راجع (هداية الحيارى لابن قيم الجوزية) ص ٢٧٧ ومابعدهـــا

وكلمه فيها جبريل عن أحبارهما ، فقال صلى الله عليه وسلم (١)

- اسلما قالا اسلمنا

- انكما لم تسلما فاسلما قالا قد أسلمنا قبلك

قال كذبتما .. يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما بان لله ولدا وعبادتكما الصليب .. وأكلكما الخنزير

فقال الحبرانى فمن أبوه يامحمد ؟

ويقصدان من أبو عيسى أو الله فسكت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجبهما حتى نزل فى أمرهما قول عز من قائل

« الم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم » (آل عمران : ١)

رد القرآن الكريم على احتجاجهم الباطل ، وجدلهم الفاسد ، ودعاويهم المنحرفة ، ومزاعمهم الضالة ..

فاذا كان عيسى هو الله ، فان عيسى قد مات بل ادعوا أنه صلب (٢) ، والله هو الحى القيوم الذى لا يموت ، واذا كان عيسى عليه السلام قد زال عن مكانه وانتهى الى مكان آخر ، فان الله القيوم مايزال قائما فى سلطانه على خلقه لا يزول أبدا وقد زال مكانه الذى به وذهب عنه الى غيره .

---

(١) أسباب النزول ، للامام السيوطى ،طبع القاهرة ١٣٨٢ هـ
(٢) رسالة بولس الى أهل رومية ، الاصحاح الخامس .

الفصل الرابع

الجدل الرحمانى

١ ـ جدل الملائكة الاستفسارى

٢ ـ جدل الأنبياء الاطمئنانى

٣ ـ كتاب يضمن الجنة

الملائكة أول المجادلين :

« عندما أراد الله خلق آدم وذريته قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني أعلم مالا تعلمون » (البقرة ٣٠)

ويمكن أن نستدل من كلام الملائكة أن الذى يسبح الله ويقدسه اناء الليل وأطراف النهار أولى بالايجاد وبنعمة البقاء من الذى يفسد فيها ويسفك الدماء من بني الانسان ...

وكان رد الله تعالى على الملائكة ردا مجملا ، لم يكذبهم فيه فيما وصفوا به بنى الانسان من افساد فى الأرض وسفك للدماء انما أجاب :مالى أجابة تبين عجز افهام الملائكة أن تدرك الحكمة من هذا الخلق

حقا ان الملائكة أنوار لا ظلمة فيها وانهم خير محض خلقهم الله تعالى بارادته وتدبيره كما خلق الشياطين من نار السموم وهى تعبر عن ظلمة الشر وتم ذلك بارادة الله وتدبيره فى جميع خلقه

وخلق آدم وذريته من جامع من النور والظلمة ، والخير والشر ووضع فى بنى آدم عقلا يرشد الى الرشد ونفسا تميل الى الهوى .. وللعقل جنودا وللنفس جنودا ، ويمكن أن ينساق الانسان الى الهوى كما يمكن أن يتغلب على هواه فهو من الناجين ، وأما من تبع هواه فهو من الهالكين

ولو ركب للملائكة شهوات الانسان لفعلت فعله وربما لم يطيقوا صبره فمن بنى الانسان من هم من الطائعين والمؤمنين والصالحين والقانتين والساجدين والراكعين والصابرين والصائمين والناهين عن المنكر واتباع الهوى والمتسابقين فى مرضاة الله تعالى

لذلك فان حجة الله على الملائكة واقعة ، وحكمته فى خلق بنى الانسان راجحة عليهم

جدل الملائكة الاستفسارى

يقيم الله تعالى نوعا من الجدل بينه وبين الملائكة ، وربما يتساءل السذج كيف يجادل الله بعض مخلوقاته فى شأن ما يفعل ، وهو القادر العليم الخبير الذى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

لكن الله لعدله وواسع رحمته يجادل الملائكة ليبين لهم حكمته البالغة وحججه الدامغة فى الكون والخلق والحياة ...

فلقد علم الله تعالى الانسان ما لم يعلم ، ولقد انفرد الانسان بميزة القدرة والاستعداد جميعا عدا الانسان ... فالعلم وحده يفرق بين الملائكة وبين آدم عليه السلام ويؤكد انفراد أدم بالعلم قول عز من قائل

« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » البقرة ٣١

وبعد أن ميز الله تعالى آدم بالعلم وفضله على كثير من خلقه بهذه الميزة العظيمة التى ترفع الانسان عليا ، قال تعالى للملائكة فى اسلوب حوارى

« انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين » البقرة : ٣١

وبرغم أن الله تعالى يعلم بواسع علمه ، عجز الملائكة من معرفة عن تلبية ما سألهم عنه ، وذلك لأن الله تعالى لم يمنحهم تلك الميزة وهى المعرفة التى خصها أدم وذريته لذلك فقد أجاب الملائكة فى تواضع جم

« قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم »
البقرة ٣٢

وهكذا يتضح من هذا التسلسل فى الحوار أن الله اختص آدم بعلم وميزة على مخلوقاته برغم خلقته الصلصالية ثم انه تعالى طلب من الملائكة وهى مخلوقات نورانية أن تميز ادم فى المعرفة التى أولاها الله اياه فعجزت تماما ولكى يكون الحوار عدلا ، والجدل بالتى هى أحسن ، طلب الله تعالى

أن يطلعهم على ما لم يحيطوا به علما ، فقال تعالى له :

يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما انبأهم بأسمائهم ، قال الم اقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض ، واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

البقرة ٣٢

وهذا التدرج فى الحوار بين عدل الله ورحمته ، وينقلنا خطوة خطوة الى الاقتناع تماما بتفضيل آدم عليه السلام على كثير من مخلوقات الله ، لاستعداده الطيب للعلم وقدراته المعرفية ، الأمر الذى يظهر ارتفاع قيمة العلم فى الاسلام بحيث لا تعادلها قيمة أخرى ...

والمقصود بهذا التحاور بين الله والملائكة ، أن يبرز الانسان هذه الميزة المعرفية التى اختصه الله بها ، وأن يعلى من شأن العلم فى نفسه وأن يعين غيره على تعلم العلم وتلقينه ... وبذلك تعم الفائدة على الناس جميعا ، اذ أن العلم يثمر الخير والصلاح والاصلاح فى الدنيا والآخرة ...

جدل الأنبياء الاطمئناني

جدل نوح عليه الســـلام :

ويستجلى من القرآن الكريم أن نوحا عليه السلام اول المجادلين فقـــد قال لقومه

« ياقوم استغفروا ربكم انه كان غفارا » نوح : ١٠

« ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا » نوح : ١٢

« ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى » هود ٢٨

« قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ... » هود ٣٢

لقد مل قوم نوح دعوته الى التوحيد ، ورغبوا عنه ولم يتحملوا كلامه ووقفوا منه موقف التحدى ، وقالوا له أئتنا بهذا العذاب الذى تهـددنا به ان كنت حقا صادقا فأن الله يعذبنا اذا لم نؤمن بك ..

وهكذا نرى قضيتين .. قضية تدافع عن الحـق وقضـية تدافع عن الباطل ، وينتهى الجدل بأن يوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه نوح عليـه السلام الا تحزن بما يفعلونه من تكذيبك وايذائك فان الله سبحانه وتعالى سينتقم منهم ثم أمر الله تعالى نبيه بصنع السفينة وحمل فيها أهل بيته وكل نوع من أنواع الحيوانات من ذكر وأنثى ويترك الكـافرين ، وبذلك نج الله سبحانه وتعالى المؤمنين وأهلك الكافرين .

جدل ابراهيم عليه السلام :

عندما شب ابراهيم عليه السلام عن الطوق وجد والده آزر يصـنع أصناما للآلهة ثم يعبدها . فيجادله فى أمرها ويؤكد له أنه ليس على طـريق الحـــق

« أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين » الأنعام ٧٤

ومضى ابراهيم عليه السلام متفكرا ، ومجادلا نفسه فى محاولة صادقة ان يصل الى الحقيقة التى تهدى الى الطمأنينة النفسية والسكينة القلبيــــة ، وفى هدوء الليل رأى كوكبا متألقا

« قال هذا ربى » الأنعام ٧٦

لكن هذا الكوكب غاب بعد ساعة :

« قال لا أحب الآفلين » الأنعام : ٧٦

واستمر شاخصا ببصره الى السماء علة يهتدى الى الله فرأى القمــر بحسنه وبعلو مكانه ، ولم ير من قبله مثله ، لذلك جعله ربا ، لأن الرب لا مثيل له ولا شبيه

« فلما رأى القمر بازغا قــال هذا ربى فلما افــل قال لئن لم يهــدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » الأنعام : ٧٧

ويظهر فى جدل ابراهيم عليه الســلام مع نفسه ، الضعف البشرى ، ومحدودية العقل الانسانى عن الوصول الى الحقائق المجردة فلقد تغيرت احكامه على الشىء نفسه ، فلو كان بمقدور الانســـان أن يصدر احكامـــا يقينية ، ما أقر بالشىء ثم أنكره بعد لحظات ...

واهتدى ابراهيم فى جدله أخيرا ، الى أن الهـــداية من الله تعـــالى ، وأن العقل وحده لا يستطيع أن يتعرف على كنه الأشياء أو حقائق الوقائع .

بقى ابراهيم عليه السلام على هذا الحال من الجدل النفسى والتامــل العقلى ، الى أن إنسحب الليل ، وبزغت الشمس فرآها أكبر ممــا رأى من النجوم والكواكب ومادام الله هو الاكبر فان هذه الشمس هى الله ، لكن لم تمر ساعات النهار الا وافلت الشمس مثلمــا افلت النجوم والكـــواكب ،

« فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبــر فلما افلت قـــال ياقومى انى برىء مما تشركون » الأنعام : ٧٨

فاستجلى ابراهيم من ذلك ان الله ليس هذه الشمس كمـــا انه ليس بتلــك الكواكب والنجوم فمن هو الله اذن ؟

يهدى الله ابراهيم عليه السلام الى الحق ، ويدخل الى قلبه الســكينة

والى نفسه الطمانينة ، وتقوى الله بعد أن رأى ضعف المخلوقات جميعا ...

لقد خوفه قومه من أصنامهم الالهة ، وانذروه بأنها سوف تنتقم منه وستضره ضررا بليغا لأنه أغضبها وحطم أكثرها . ثم جادلوه فى أمر توحيده لله ...

لكن ابراهيم عليه السلام لم يهتم بلجاجهم وحجاجهم وقد من الله عليه بنعمة الايمان فما عاد يخاف شيئا غير الله ولا سلطان لشيء عليه الا فاطر السموات والأرض!

« قال أتحاجونى فى الله وقد هدانى »

الأنعام ٨٠

وكيف أخاف الهتكم الباطلة ، ولا تخافون انكم عبـــدتم غير الله وأشركتم به فأى فريق أحق بالأمن والطمأنينة ، فريق يعبد الله وقد قامت الحجة على وحدانيته ، أم فريق يعبد الأصنام ولم يتم دليل الهته على أنها تستحق أن تعبد ...

لاشك أن هؤلاء الذين لم يخلطوا ايمانهم بعبادة سوى عبادة الله تعـالى هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمأنينة ، وهم وحدهم المهتدون الى طريق الحـــق والخير ..

قال تعالى : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئـــك لهم الامن وهم مهتدون » **الأنعام : ٨٢**

جدل موسى :

تقوى موسى عليه الســـلام بالله فى دعوة فرعون المتجبر فى الأرض الى دين التوحيد ، ودخل موسى ومعه هارون على فرعون اللئيم فقام جدال بين فرعون وموسى عليه السلام

قال فرعون « وما رب العالمين » ؟ الشعراء ٢٣

يرد موسى فى ثقة واقتدار فى ثلاث كلمات بليغة ، لكنها أفضل جواب يمكن أن يفحم هذا المتجبر بنفسه ويخرسه

قال « رب السموات والأرض وما بينهما » الشعراء ٢٤

ولم يرد موسى مباشرة على سؤال الفرعون لأنه ليس سؤلا بسيطا يقصد

منه الاستفهام عن شيء ، انما سؤال لئيم يقصد به الافصاح من ماهية رب العالمين ، وهذا مالا يستطيع موسى أن يجيب عليه الا ان يقول انه رب السموات والأرض وما بينهما

ويتهكم فرعون على موسى ، ويعرض لمن حوله جواب موسى الذى يذكر الها غيره ثم يقول لهم فى تعجب :

« الا تستمعون » الشعراء ٢٥

ويمضى موسى فى دعوته وتبليغ رسالته وان أبى فرعون أن يسمع له وامتلأ غيظا وحنقا

« قال ربكم ورب آبائكم الأولين » الشعراء ٢٦

ويريد فرعون اللئيم أن يحرض صوت السماء ، وان يحرض الناس ضد موسى عليه السلام ، حيث يدعوهم بالايمان بالله دونه ، فيتزعم لهم ان موسى مجنون لأنه يسأل عن شيء فيجيب عن غيره

الا ان موسى لايبالى بل يمضى فى الدعوة الى الله رغم تكذيب فرعون له وحنقه عليه واتهامه بالجنون

« قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون »

الشعراء ٢٨

وهذا الدليل الذى أفرده موسى لا يمكن أن يدعيه فرعون لنفسه لان شروق الشمس وغروبها بتقدير حكيم يدل على الخالق فاطر السموات والأرض وليس لعبد أن يدعى ذلك وان ادعى ظهر على الفور كذبه فى ادعائه ...

لذلك ضاق فرعون بموسى ، عندما لم يجد سبيلا الى اسكاته أو اخضاعه اليه ، واستخدم مع موسى اسلوب التهديد والوعيد

« قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين »

الشعراء ٢٩

لكن موسى يرد على وعيد فرعون بحكمة الأنبياء ورحمة الرسل

« قال أولو جئتك بشيء مبين » الشعراء ٣٠

وعندما تعرض موسى عليه السلام على فرعون أن يعرض عليه ما يؤيد دعوته بالأدلة الواضحة والحجج الدامغة ، اجابة فرعون الى طلبه تاركا موقف التهديد بالسجن ، الى موقف التحدى

« فات بها ان كنت من الصادقين » الاعراف : ٧٠

وواضح ان جدال فرعون فى غير الحق لأنه مرتبط اما بالاغترار او العجب او التعصب أو الحقد على موسى أو الاستعلاء عليه ٠٠ لذلك كان لابد من أن تكون الحجة قوية دامغة تخرس فرعون فلا يستطيع لها صدا أو ردا ٠

« فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين »
الأعراف ١٠٧ ، ١٠٨

وتستخدم العصا للتاديب كما تستخدم لرعى الأغنام ، كما أن العصا انزلت على آدم عليه السلام عندما نبح عليه الكذب ، وكان هناك ارتباط بين نباح فرعون ونباح الكلب وهذه اهانة لفرعون لما تطاول على موسى عليه السلام وكثرت ادعاءاته وتعاظمت دعاويه ٠٠٠ وكان العصا ترمز للتاديب كما أنها من ناحية أخرى تتحول الى ثعبان يمثله فرعون كأنه حية رقطاء ملمسها لين وفعلها قاتل ٠٠٠ وهذه الصورة مناسبة تماما لحالة فرعون ٠٠٠

وتستكمل هذه الصورة بيد موسى عليه السلام ، اذ تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء ٠٠٠ فكان موسى عليه السلام يظهر شريعة الله بمعجزة وهى اظهار اليد بيضاء لا ظلمة فيها ولا عسف ولا نير ولا جور الأمر الذى جعل فرعون لا يطيق موسى ولا دعوته ، فهم أن يقتله ، لكن الله أراد أن يخرسه ويظهر نبيه فانبرى رجلا مؤمنا من قوم فرعون اتهمه الله بالحق ليقول

« أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم »
غافر ٢٨

عيسى عليه السلام :

عندما يدعو عيسى عليه السلام قومه الى الله ، يقول الكفار له ·

« انا تطيرنا بكم » يس : ١٨

وكان الرد مناسبا للمجادلين بغير علم ولاهدى ، كما ورد عن عز من قائل : قالوا لهم طائركم معكم » يس ١٩

أى شؤمكم معكم وليس منا هذا الشؤم وذلك التطير ، ذلك لأنكم جعلتم افكا وبهتانا التذكير بالله والدعوة اليه وعبادته علة الشؤم والتطير وذلك منتهى الجهل والسفة والغفلة ويبين الله فى كتابه العزيز لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى سيحاور عيسى بن مريم يوم القيامة ، كما سيحدث يوم القيامة كما ورد عن عز من قائل ان يسأل الله نبيه عيسى بن مريم عليه السلام :

« أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله »
المائدة ١١٦

ويرد عيسى عليه السلام فى أدب جم

« قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ···

ان كنت قلته فقد علمته ··· المائدة ١١٦

تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك

انك أنت علام الغيوب ··· » المائدة ١١٦

ويستطرد عيسى عليه السلام مقرا بعبوديته لله مؤكدا انه لم يقل الا ما أمره تعالى به وان لا يعلم ما تخفيه عنه فالله وحده هو المحيط بكل شىء الظاهر والباطن الخفى والغائب ···

« ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم »
المائدة : ١١٧

كتاب يضمن الجنة

علم كنعان وكان ملكا جبارا ظالما يدعي الالوهية ، أن أحد رعاياه يعبد الله سرا . ويكتم ايمانه عن الناس . وقيل له ان ذلك الرجل يفسد عليك أمرك ، ويثير الناس ضدك ويدعو الى غير عبادتك فاستدعاه الملك ليقتله ، فلما دخل عليه الرجل الصالح ذو الكفل ..

فقال له الملك

لقد بلغنى انك تعبد غيرى .. اليس ذلك صحيحا ؟

فقال ذو الكفل

أيها الملك اسمع ما أقوله لك ولا تغضب ... فان الغضب عدو النفس اذ يمنعها من المعرفة ويحول بينها وبين الحق وينبغى للملك الا يغضب لأنه قادر على ما يريد

فقال الملك

تكلم .. ياذا الكفل .

فقال ذو الكفل

بسم الله والحمد لله أيها الملك أتزعم انك اله فى قومك يعبد من دون الله ؟ اذا كنت تزعم انك اله فى قومك فهناك اله آخر أو آلهة أخرى فى غير قومك فكأن لك أيها الملك شركاء فى الالوهية .. فلست وحدك الاله

واذا كنت تزعم أيها الملك إنك اله جميع الخلق فمن اذن الهك انت أيها الملك ؟

فبهت الملك من هذه الحجج وقال لذى الكفل

الهى الهى .. الهى .. من الهى ؟

فقال ذو الكفل

اله السموات والأرض وما بينهما فاطر السموات والأرض العليم الخبير ..

انه الله خالق الشمس والقمر والنجوم وكل شيء فاتق الله أيها الملك واحذر عقوبته تسلم وان أنت وحدته تغنم وان أنت رجوته تأخذ ثواب الدنيا والآخرة .

فقال الملك

أخبرني ياذا الكفل .. وماهو ثوابي ان عبدت الهك ؟

فقال ذو الكفل

ان مت تحظى بالجنة ونعيمها ونبعث يوم القيامة شابا قويا فتيا تدخل في نعيم الخلد لاتهرم أبدا ، حيا لا تموت أبدا ، مقيما في بهجة وسرور ولا تحزن أبدا ..

فقال الملك

ياذا الكفل فما جزاء من لم يعبد الهك وعصاه ؟

قال ذو الكفل

ان مات يدخل النار ويعذب بالليل والنهار وتوضع في يديه السلاسل والاغلال .. ولا يموت أبدا ، بل يضرب بقطع من الحديد ويأكل المر والصبر ويشرب الحميم فلما سمع الملك كنعان موعظة ذى الكفل ، رق قلبه وبكى على ذنبه وندم على ما اقترفه في حق الله من معاصى .

وقال لذى الكفل

ياذا الكفل هل تضمن لى الجنة لو انى تبت الى الله ولم أرجع الى ظلمي لنفسى وادعائى

فأجاب ذو الكفل قائلا

انى اضمن لك أيها الملك أنا الكفيل

فقال الملك

كيف تضمن ان تدخلنى الجنة لو أنا تبت الى الله .

ذو الكفـل

أكتب لك كتابا الى الله عز وجل

ففكر الملك مليا وقد أراد الله به خيرا فقال اكتب هذا الكتاب ياذا الكفل .. فكتب ذو الكفل الكتاب الآتي الى الله

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه ذو الكفل الكميل على الله تعالى للملك كنعان ثقة منه فى الله تعالى ، فان تاب كنعان الملك وأصلح وعبد الله أن يدخله الله تعالى الجنة ونعيمها ، وان يجيره من النار وعذابها فانه تعالى بالمؤمنين غفور رحيم »

ثم ختم الكتاب وأعطاه للملك كنعان ، فقال له الملك علمنى الشهادة والاركان والوضوء والصلاة والعبادة والزكاة فعلمه الشرائع والتكاليف المقررة .

فقال له الملك

امستر أمر توبتى .. حتى أترك الدنيا وما فيها والحق بالعباد لله

فقال ذو الكفل

لك هـذا

وخرج الملك سرا ، وخلع أزار الملك ، وتوارى عن النـاس جميعا ، وأخذت الرعية تبحث عنه حتى وجدوه بعد شهر قائما يصلى لله .. فلما نظروا اليه .. خروا له ساجدين

فقال لهم الملك

لا تسجدوا لأحد من الخلق بل اسجدوا لله الواحد القهار

ولم تمض فترة حتى وقع الملك فريسة المرض وحضره الموت فقـال لأصحابه اذا مت فادفنوا معى هذا الكتاب ، وأخذوا الكتاب وقرأه عليهم حتى وعوه وحفظوه ... واستودعهم الله فلما مات دفنوا الكتاب معه كما اوصاهم

ولمـا تأخروا عن الحضور ، امسك أهل الملك بذى الكفل وحبسوه .، وزعموا أنه سبب اختفاء مليكهم وهو الذى خدعه وغرر به .

فقال لهم ذو الكفل

أنا لم أخدعه انما أعطيته كتابا الى الله يضمن به دخول الجنة ولقد مات الملك منذ يومين وحدد لهم الوقت ودفنه بعض أصحابكم ودفنوا معه الكتاب الذى أعطيته وقرأه عليهم ، وقال لهم انتظروا أصحابكم حتى يرجعون واسألوهم عن كتابى الضامن لملكهم كنمان ..

ولما يصدقوا كلام ذى الكفل وأوعوه السجن ، ولم يمر شهر حتى جاء أصحاب الملك بعد ما دفنوه ، وحكوا للناس ما حدث لملكهم وقصة الكتاب الذى دفن معه وفحواه وايمان ملكهم بالله .

وعلم الناس أن ذا الكفل كان صادقا معهم تماما فيما يتعلق بالكتاب وحقيقته وموت ملكهم وايمانه بالله

فطلب الناس من الكفل أن يضمن لهم الجنة ويكتب لهم كتبا كما كتب لملكهم فكتب لكل التائبين وكان من أمن به مائة ألف أو يزيدون تكفل بهم لذلك سماه الله ذا الكفل ..

الفصل الخامس

الهدى الرباني

١ ـ الجدل التعليمي

٢ ـ جدل الرسول المعرفي

٣ ـ جدل الشورى .

٤ ـ الجدل الايثاري .

الجدل التعليمي

ظاهر في هذا الجدل سلم الحكمة
التى تبدأ بالعدل الظاهرى وتنتهى
الى العلم الالهى

قام جدل بين العبد الصالح الخضر وموسى عليهما السلام ولما الهم موسى أن ذلك العبد الذى قابله قد أنعم الله عليه بعلم لدنى وآتاه رحمة من عنده ، وقف منه موقف التلميذ المتأدب رغم علو مقامه وعظم شأنه كنبى ورسول ولم يجادل جدلا عقيما فى أحقيته فى هذا العلم الذى وهبه الله للخضر عليهما السلام ، وانما طلب بأدب جم وتواضع نبى أن يعلمه الخضر مما علمه الله

« قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا »
الكهف ٦٦

ان هذا الطلب يدل على شغف موسى بالمعرفة ، ورغبة صادقة فى الوصول الى الحقيقة وان وقف التلميذ الذى لا يعرف شيئا

ويرد الخضر على موسى عليهما السلام فى اعتداد وثقة بعلمه وبنفسه فى جملة مانعة شافية

« قال انك لن تستطيع معى صبرا » الكهف ٦٧

ذلك لأن الانسان يمكن أن يصبر عندما يعرف أن صبره لله أو فى سبيله تعالى ، لكنه من الصعوبة بمكان أن يصبر على المكروه أو عن المحبوب عندما يجد أن صبره لا طائل من ورائه ، ولا معرفة له به ولا خبرة له فيه .

لكن موسى عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل قد رسخ الصبر فى نفسه وقلبه وعقله جميعا جادل الخضر جدالا رقيقا

« قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا »
الكهف ٦٩

فهناك موقفان اذن موقف العالم اللدني الواثق من نفسه ومـوقف النبي الرسول الذى يريد أن يستزيد علما ومعرفة ولو كان ذلك من عبد من عباد الله الصالحين والعبد الصالح يحذر وينذر النبي الصـادق ، والنبي يتواضع له ويخفض له الجناح ويطيعه فى سـبيل أن يحظى ببعض علم الله ...

والخضر عليه السلام لا يريد من تلميذه موسى عليه السلام مناقشـة أو لجاجا أو حجاجا اذا ما رأى شيئا أنكرته نفسه او كرهه قلبه أو لم يقبلـه عقله .. انما عليه أن يسكن ويهدأ ويصبر ويكظم غيظه ..

يريد منه أستاذه ومعلمه الخضر عليه السلام أن يسمو فوق بشريته فلا يغضب مع وجود ما ينكر وما يشعل النفس غضبا ، وأن لا ينصح أو يعظ عندما يرى ما يستوجب النصيحة أو الوعظ أو الارشاد

يريد الخضر من موسى عليهما السلام أن يتحمل ما فوق طاقة البشر وأن يصبر بما لم يصبر عليه أحد حتي يحدثه الخضر فى أمر مـا ينكره وما يكرهه وما لايقبله .

لكن موسى عليه السلام يستخلص النتائج من المقدمات ويسـتخدم جدلا عقليا يزن به فاسد الأمور من صحيحها ، فهو يحلل ما يعرض أمامه من احداث تحليلا منطقيا ، وينسى ما وعد به وما عاهد عليه الخضر من صبر وطاعة وعدم عصيان وهذا هو طبع الانسان يولع بالجدل واصـدار الأحكام

« فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقهـا ، قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا » الكهف ٧١

ويذكر الخضر موسى عليهما السلام بوعده الذى وعده به ، وانه قـد نسى برغم ما عاهده به على الصبر والطاعة

« ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا » الكهف ٧٢

ويرد عليه موسى معتذرا ، مقرا بنسيانه لعهده له وما وعد به ، لكنه قال له فى نفس الوقت أن ييسر له العلم الذى يعلمه ولا يجعله عسير الفهم ، وأن لا يرهقه بوضعه فى مواقف غامضة ومحيرة لا يستطيع أن يتعرف على أبعادها ولا اصدار الحكم بشأنها ٠٠

« فانطلقا حتى اذا وجدا غلاما فقتله ، قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا » الكهف ٧٤

لكن موسى لم يستطع للمرة الثانية الصبر على أفعال الخضر لما يراه أمامه من منكرات تتسم فى ظاهرها بالعدوان والأذى ، وهذا بطبيعة الحال يخالف الشريعة التى أوحى بها الله اليه وتخالف هذه الأحداث الدامية ما استقر فى النفس من الفطر الصحيحة وما تسكن اليه القلوب السليمة وما تقبله العقول الرشيدة ٠٠٠

لقد جادل موسى الخضر عليهما السلام فى أمر قتل الغلام بدون سبب ظاهر اعتبره جناية كبرى وقع فيها الخضر ، وانما فعل مستنكر يستوجب القصاص لقد غضب موسى للحق عندما وجد صاحبه يجعل من الباطل حقا ثم يقول له أصبر ولا تجادل فيما تراه أمامك من منكر والانسان المؤمن مطالب أن يقاوم المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فكيف يستطيع موسى الصبر أو أن يقبل وهو نبى ورسول ، اذ عليه أن ينفذ شريعة الله فى الأرض ما أتى به الخضر عليه السلام من ظلم ظاهر وقتل للنفس التى حرم الله الا بالحق ،

ثم يذكر الخضر موسى عليهما السلام مرة ثالثة بعدم استطاعته للصبر وعن عدم قدرته عن الكف عن الجدل وعن وعده وعهده له :

« الم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا » الكهف : ٧٥

ويتذكر موسى أنه تلميذ وأن الخضر يعلمه بعض من العلم اللدنى الذى لم يطلع عليه ، وأن عليه أن يسكن عن الجدال ، وعدم منازعته باللجاج وأن

يصبر حتى يشرح له ما خفى عنه بشأن الوقائع التى حدثت أمامه ويرجوه أن يعطيه فرصة أخرى فاذا نسى وجادل فله العذر أن يفارقه

قال : « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى ٠٠ قد بلغت من لدنى عذرا » الكهف : ٧٦

ويمضى موسى مع صاحبه ليدخلا قرية ويابى أصحابها استضافتهما ويرى الخضر جدارا مائلا للسقوط فأسقطه ثم أعاد بنائه ، فاعترض عليه موسى ولم يقبل ما فعله بدون أجر

« لو شئت لا تخذت عليه أجرا » الكهف ٧٧

وينتهى هذا الجدل بالفراق التام بين نبى وصاحب شريعة وبين عبد صالح آتاه الله بعض علمه اللدنى ٠٠٠

ولم يكن موسى عليه السلام مخطئا فى جدله مع الخضر ، انما كان يستخدم التشريع الظاهرى ، باعتبار أن الحلال بين والحرام بين ، وأن هناك صلاحا فى الأرض وفسادا ، فاذا لم ننكر الفساد والافساد ، ونعلن الحرب على الباطل ، لم نتمكن من تعمير الأرض ولاختلت الموازين والأحكام ، ولاختلطت الأمور بعضها ببعض ، فدمرت الأرض تدميرا ٠٠٠

هذا ما كان يطالب به موسى فى جدله وبرغم ما وعد به موسى الخضر برغبته فى تعلم ما خفى عليه وما لم يحط به علما ، فانه ينسى ما وعد به وما عاهده عليه ٠

وأما الخضر فى ردوده على موسى جواب الواثق من علمه ، العارف بالله المسترسل معه تعالى والدليل على ذلك انه يقول لموسى عند فراقه له

« وما فعلته عن أمرى » الكهف ٨٣

فان أفعال الخضر كانت قياسا من نوع آخر غير القياس العقلى والجدل الصورى أو المادى ٠

فان خرق السفينة كان بأمر الهى وذلك حتى لا يلحق بها ذلك الملك المغتصب فيأخذها اغتصابا ، واما قتله للغلام فكان أيضا بأمر الهى ، وذلك لأن الله أراد أن يخلف على الوالدين من هو خير منه دينا وخلقا واحسانا اليهما ، اذ لو عاش هذا المقتول لكان سببا فى شقائهما فى الدنيا والآخرة ..

ثم يستطرد الخضر فى تفسير الوقائع والاحداث التى أنكرها موسى عليه السلام والتى تنتهى ببناء الجدار والذى كان تحته كنز ليتيمين فى المدينة أراد الله أن يستخرجانه بعد أن يبلغا رشدهما اذ كان أبوهما صالحا

وهذا الجدل الذى قام بين موسى والخضر لم يكن جدلاً عقيما او دفاعا عن الهوى ، أو فى سبيل شهوة ذاتية او منفعة شخصية .. انما كان الجدال بين موسى والخضر عليهما السلام من أجل توخى الحقيقة كان هدفه الوصول الى الحق والعدل وهذا مما لا شك فيه أفضل أنواع الجدل .

جدل الرسول المعرفي

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قارئا أو كاتبا ، بل كان أميا ، وفي سن الأربعين جاءه جبريل وهو في غار حراء بالنبوة فقام يومئذ حوار بينهما

قال جبريل : اقرأ

فقال الرسول ما أنا بقارىء

فضمه جبريل اليه حتى بلغ منه الجهد أشده ، فاطلقه ثم اعاد عليه القول اقرأ

فقال الرسول ما أنا بقارىء ..

فضمه جبريل مرة مثلما فعل من قبل ثم أطلقه وقال له

- اقرأ

فقال الرسول ما أنا بقارىء ..

فضمه ثم أطلقه ثم قال له

« اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى قوله ما لم يعلم

ثم نزل جبريل من الجبل الذى به غار حراء الى الأرض فضربها برجله فنبعت عين ماء فتوضأ وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوضوء .. ثم صلى به ركعتين وقال له الصلاة هكذا يا محمد ... وغاب عنه

وصل الرسول الى بيته وهو يرتجف فلقيته زوجته خديجة وهو على هذا الحال فقال لها صلى الله عليه وسلم

- خشيت على نفسي -

فقالت له خديجة مستبشرة

- كلا أبشر فو الله لا يخزلك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقوى الضعيف ، وتعينه على نوائب الحق (١)

---

(١) نور الابصار ، الشبلنجي ص ١١

جدل الشورى

يبدو أن الحكم فى القرآن الكريم لا يستقيم الا بتطبيق مبدأ الشورى على الحاكم والمحكومين سواء بسواء ، وبالقرآن الكريم ، صريح فى وجوب الحكم بالشورى « وليس بعد ايجابه على النبى (صلى الله عليه وسلم) اعفاء منه لوالى من الولاة »(١) والطريف أن القرآن الكريم يضم سورة كاملة باسم الشورى ٠

ويورد القرآن الكريم بين ثناياه بعض الآيات الكريمة التى تحض الملوك على استشارة العلماء والمستيزين فى شئون الدولة بعامة ، الأمور التى تمس امنها بخاصة ، ويعتبر الحوار الذى جاء فى القرآن بين الملوك وولاة الأمر وبين الرعية ، أسلوبا ونموذجا فريدا يجب أن يحتذى تطبيقا لنظام الشورى الاسلامية

ويقول عز من قائل « وشاورهم فى الأمر (آل عمران : ١٥٩)

وهذا يدل دلالة واضحة على الأمر باستبعاد كل نظم الاستبداد التى نجدها اليوم فى الأنظمة السياسية المختلفة ، فالاسلام يشجب كل صور الديكتاتورية ، ويبين أن أمر المسلمين شورى بينهم ٠

يقول عز من قائل « وأمرهم شورى بينهم »
(الشورى ٣٨)

ان القرآن الكريم يعلم ولاة الأمر من الملوك والحكام والرؤساء الطريق الملكى فى نظم الحكم الموصلة للحكمة والرشاد والعدل من الأمثلة التى تؤكد ما تذهب اليه ما فعلته ملكة سبا وكانت تدعى بلقيس عندما أرسل لها سيدنا سليمان عليه السلام رسالة يطلب اليها أن تدخل فى دين الله وأن تنبذ ما تعبد من دون الله وأن تاتى هى وقومها اليه مسلمين ٠

تشاور بلقيس أشراف قومها فى جدل رقيق يدل على التواضع والحكمة،

---

(١) عباس محمود العقاد ، الديمقراطية فى الاسلام ص ٤٥ ، دار المعارف بمصر

تقول كما يحكي عنها رب العزة

« يا أيها الملأ أفتوني في أمري ، ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون »
(النمل ٣٢)

وأتى الرد من العلماء والحكماء من رعيتها مظهرين لملكتهم أنهم أقوياء ، لا يخافون شيئا وأنهم على استعداد لمجابهة الأعداء • ثم يعقبون بقوله

لكن • القرار الأخير للملك وولى الأمر والطاعة لنا •

« قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ، والأمر اليك ، فانظرى ماذا تأمرين •• »
(النمل ٣٣)

وبحكمة الملك العادل ، وخوفه على الرعية بعد أخذ رأيهم في مجابهة ما سيهدد الدولة من أخطار •

قالت : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون »
(النمل ٣٤)

ونجد حوار الشورى بين الملوك والرعية في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فهذا ملك مصر يستشير أهل العلم والرأى في أمر الرؤيا التى رآها في نومه والتي لم يجد لديهم تأويلا لها ولا تفسيرا

« يا أيها الملأ أفتوني في رؤياى ، ان كنتم للرؤيا تعبرون »

« قالوا : اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين »
(يوسف ٤٤)

وكان من ثمرة استشارة الرعية أن تذكر بعضهم يوسف عليه السلام الذى علمه الله تأويل الرؤى فأرسل له الملك ليعبر له رؤياه ، وفعلا أخذ الملك بتأويل يوسف عليه السلام وعينه وزيرا له •

ومن ثم لا غنى لولى الأمر عن المشاورة فلقد أمر الله بها نبيه وأكد أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثير المشاورة لأصحابه بل « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه » (١) منه صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن تيمية . السياسة الشرعيه في اصلاح الراعي والرعية ص ١٨١

والأولى بالمشورة من هم يقتدون به صلى الله عليه وسلم في كل اقواله وافعاله وأحواله حقا وصدقا وتكوينا وهؤلاء يستوجبون أمناء الله عليهم

يقول عز من قائل : « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (الشورى : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨)

ومن ذلك نتاكد أن الحكم والامر لله وحده وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، مهما كان هذا المخلوق عظيما في الدين أو الدنيا

وأن كان أمرا قد تنازع معه المسلمون فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجة رأيه فاى الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله ، عمل به ، كما قال تعالى

« فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تاويلا » (النساء ٥٩)

ويقسم ابن تيميه أولوا الأمر الى صنفين :

الأمراء .... والعلماء

واذا صلح هؤلاء صلح الناس (١)

« ألا ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، الا وهي القلب »

والقلب في الانسان يقابله اولوا الأمر في الأمة الاسلامية والمجتمع الاسلامى والمدنية الاسلامية

ومن ثم يتوجب على كل من أولوا الأمر أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة لله ورسوله واتباعا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومتى أمكن في الحوادث المشكلة معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة كان هو الواجب ، وان لم يكن ذلك لضيق الوقت أو عجز الطالب ، أو تكافؤا الأدلة أو غير ذلك فلو لى الأمر أن يقلد من يرتضى علمه ودينه ٠

ومن ثم يمكن القول بان الواجب لا يمكن الا مع القدرة وأما مع العجز فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وهذا هو الجائز في سائر أمور الدين٠

وذلك كله في قول عز من قائل

« فاتقوا الله ما استطعتم » (التغابن : ١٦)

فلم يوجب الله ما لايستطاع ولم يحرم ما يضطر اليه ، اذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد (١) ٠

---

(١) ابن تيميه ، المرجع السابق ص ١٨٤ ٠

والأولى بالمشورة • من هم يقتدون به صلى الله عليه وسلم فى كل اقواله وأفعاله وأحواله حقا وصدقا وتكوينا وهؤلاء يستوجون أمناء الله عليهم

يقول عز من قائل « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (الشورى : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨)

ومن ذلك نتأكد أن الحكم والأمر لله وحده وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، مهما كان هذا المخلوق عظيما فى الدين او الدنيا

وأن كان امرا قد تنازع منه المسلمون فينبغى أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجة رأيه ، فأى الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله ، عمل به ، كما قال تعالى

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء : ٥٩)

ويقسم ابن تيميه أولوا الأمر الى صنفين :

الأمراء ••• والعلماء

واذا صلح هؤلاء صلح الناس (١)

« ألا ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، الا وهى القلب » •

والقلب فى الانسان يقابله أولوا الأمر فى الأمة الاسلامية والمجتمع الاسلامى والمدنية الاسلامية •

ومن ثم يتوجب على كل من أولوا الأمر أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة لله ورسوله واتباعا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن تيميه ، المرجع السابق ص ١٨٤

ومتى أمكن في الحوادث المشكلة معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة كان هو الواجب ، وان لم يكن ذلك لضيق الوقت او عجز الطالب ، أو تكافؤا الأدلة أو غير ذلك فلو لى الأمر أن يقلد من يرتضى علمه ودينه .

ومن ثم يمكن القول بأن الواجب لا يمكن الا مع القدرة وأما مع العجز فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وهذا هو الجائز في سائر أمور الدين.

وذلك كله في قول عز من قائل

« فاتقوا الله ما استطعتم » (التغابن : ١٦)

فلم يوجب الله ما لايستطاع ولم يحرم ما يضطر اليه اذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد (١) .

---

(١) ابن تيميه ، المرجع السابق ص ١٨٤ .

الجدل الايثارى

لم نجد أدبا كأدب الصحابة ولا ايثارا كايثارهم ، فاذا لقوا أحـــد أصحاب الرسول قدموه على أنفسهم ، وتواضعوا له ، وذكروا أمامه ما امتدحه الرسول به ، وينسوا فضلهم وجهادهم وما أثنى به الرسول عليهـم به ، لقد كانوا يتدافعون لانكار ذواتهم وتقديم اخواتهم عليهم

لقى أبو بكر الصديق عليا بن أبى طالب رضى الله عنهما وهما فى طريقهما لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصلا الى الباب — كما يروى لنا أبو هريرة قال على لأبى بكر تقدم ٠٠ فكن أول قارع

على كرم الله وجهه ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه

« ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق »

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما أنا بالذى يتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أعطيت خير النساء لخير الرجال » يقصد انه أعطى خير النســاء فاطمة لخير الرجال على ابن أبى طالب ٠

على كرم الله وجهه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من أراد أن ينظر الى صدر ابراهيم الخليل فلينظر الى صــدر أبى بكر الصديق

أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أراد أن ينظر الى آدم والى يوسف وحســنه ، والى موسى وصلاته ، والى عيسى وزهده ٠ والى محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه ٠٠٠ فلينظر الى على بن أبى طالب »

علي رضى الله عنه أنا لا إتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم

« اذا اجتمع العالم فى عرصات القيامة ، يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عز وجل

« يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوك الجنة » .

أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخيبر وقد أهدى اليه تمر ولبن:

« هذه هدية من الطالب الغالب الى على بن أبى طالب »

على رضى الله عنه انا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « انت يا أبا بكر عيني ... »

أبو بكر رضى الله عنه انا لا اتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم

« يجيء على على مركب من مراكب الجنة فينادى مناديا يامحمـــد كان لك فى الدنيا والد حسن واخ أحسن ، فأما الوالد الحسن فأبوك ابراهيم واما الأخ فعلى بن أبى طالب »

على رضى الله عنه أنا لا اتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يجيء رضوان خازن الجنـــان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول

« يا ابا بكر الرب جلا جلاله يقرؤك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ابعث من شئت الى الجنـــة وابعث من شـــئت الى النار »

أبو بكر رضى الله عنه انا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ان جبريل عليه السلام أتانى فقال لى يامحمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا .. فسـجدت شـــكرا

وأحب حسنا وحسينا ... فسجدت شكرا »

علي رضي الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الأرض لرجح عليهم »

ابو بكر رضي الله عنه انا لا اتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان عليا يجيء يوم القيامة معه أولاده وزوجته على مراكب من البدن فيقول أهل القيامة اى نبي هذا .. فينادى مناد : هذا حبيب الله علي بن أبي طالب » .

علي رضي الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « غدا يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة أدخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر » .

ابو بكر رضي الله عنه انا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين قصرى وقصر ابراهيم الخليل قصر علي بن أبي طالب »

علي رضي الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أهل السموات والارضين من الروحانيين والملأ الأعلى لينظرون في كل يوم الى أبي بكر الصديق » .

ابو بكر رضي الله عنه انا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا »

علي رضي الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال الله في حقه ..

« والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين من عند رب العالمين وقال يامحمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك ان ملائكة السبع سموات لينظرون في هذه الساعة الى أبي بكر الصديق والى علي بن أبي طالب .. ويسمعون ما جرى بينهما من حسن الآدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض فقم

اليهما وكن ثالثهما فان الله قد حفهما بالرحمة والرضوان وخصهما بحسن الآداب والسلام والايمان فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهمـــا فوجدهما كما ذكر له جبريل ... فتـل النبى صلى الله عليه وسلم وجه كل واحد منهما .. وقال وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مدادا ، والأشجار اقلاما ، وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما ..

الفاروق عمر وعثمان بن عفان :

ادركت الفاروق عمر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما صلاة العصر وهما فى عمل يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر لعثمان

ـ تقدم ... فصل بنا

فقال عثمان انت أولى منى بالتقدم ياعمر ... فان رسول الله قدمك واثنى عليك

عمر أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ، ومن جمـــع الله به نورى ... »

عثمان أنا لا أتقدم عليك فقد سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول

« عمر أكمل الله به الاســـلام »

عمر أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عثمان تستحى منه الملائكة »

عثمان أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عمر كمل الله به الدين .. وأعز به المسلمين »

عمر أنا لا أتقدم عليك ... فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك « نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل واليتامى ويحمل لهم الطعام وهم نيام »

عمر أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك « غفر الله لعثمان .. مجهز جيوش العسرة .. »

عثمان أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك : « اللهم عز الاسلام بعمر بن الخطاب .. وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل »

وبلغت هذه المحاورة التى تمت بين الفاروق عمر وذى النورين عثمان بن عفان مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض ...

الفصل السادس

الرد على الجاهلين المحدثين

١ ـ المجادلون المفترون

٢ ـ استطاعة الانسان ٠

٣ ـ المجادلون بغير علم

٤ ـ المدحـــور

٥ ـ جهاد الشياطين

٦ ـ الارهاب بين شريعة الله والقانون الوضعي ٠

المجادلون المفترون

يعترض المفترون اذا أردنا أن نحتكم الى كتاب الله فى موضوع من الموضوعات أو مسألة من المسائل التى تزخر بها حياتنا الفكرية أو العملية او السلوكية

وفى زعم هؤلاء ان المنهج العلمى الحديث هو المرجع فى حل جميع الموضوعات وهو البلسم الشافى للقضاء على جميع المشاكل التى تعن للانسان المعاصر وانه لا علاقة بين هذا المنهج العلمى وبين كتاب الله وشريعته

وحتى اذا جادلت هؤلاء بالحسنى وشرحت لهم كيف ان الاسلام لا يتعارض مع العلم بل يحث عليه ويؤيد النظر والبحث والتأمل والتفكر فان اجاباتهم ربما تنحصر فى ان اتباع الشريعة يعطل العقل ويحجب عن الانسان المعارف ويجعله متجمدا فى عقله وفكره جميعا لأنه يفرض نصوصا على المرء ان يقبلها دون مناقشة وهذا يتعارض مع الفكر العلمى الحديث ...

ولا يقف هؤلاء المفترون عند هذا الحد بل ربما يقفون من الآيات القرانية والسنة المحمدية موقف التحدى وهو موقف يفوق الاعتراض

فاذا أثبت لهم بالادلة القاطعة والحجج الدامغة ان الاسلام دين الفطرة السليمة والعقول الرشيدة وانه يعتمد فى كل آياته على اليقين العلمى والتصديق العملى

كانت اجاباتهم ان هذه الادلة التى أثبتها الاسلام قد عرفتها البشرية وجادت بها من قبل عقول انسانية ولم يكن الدين الاسلامى أول من بحث فيها وأعطى أجوبة عنها

وهكذا ترى هؤلاء المفترون يحاربون كل الايجابيات التى نراها بين ثنايا الدين الحنيف لا لشىء الا لبلبلة فكر الانسان وأبعاده عن هدى الدين..

لكننا نرد فى هذه العجالة السريعة ان نرد على بعض هذه الدعاوى

المغرضة والمزاعم الكاذبة فنقول لهؤلاء جميعا

أولا اذا كان هناك وجه اتفاق بين رأى العقلا الذين سبقوا الاسلام وبين ما أتى به الاسلام من أحكام ومعاملات وعبارات فان ذلك يؤكد على فطرة الدين وصلاحه للتطبيق العملى ولا يقلل من دعوة الاسلام بل يزيدها فى نفوس المتأملين رسوخا واعتناقا وايمانا ..

ثانيا واذا كان كتاب الله كتاب جامع شامل عام ثابت فان ذلك لا يعنى أن المتخصص لا يستطيع أن يستفيد منه بل بالعكس فان القرآن الكريم بمثابة السراج الهادى للعقل المتأمل ، ومتى احتاج الى مسألة فانه يراه بجواره يضىء له طريق المعرفة والبحث والدرس والمقارنة والتحصيل .. ولا يعنى ان كتاب الله ثابت انه متجمد ، فان آياته البينات تعطى لكل عصر من العصور غايتها من العلم وكلما تطور الانسان علميا وجد آيات الله لا تتعارض مع أى من المكتشفات العلمية بل تشملها بحيث أنه لم ولن يأتى العلم بكشف جديد يتعارض مع آيات الله البينات ..

ثالثا اذا كان الفكر الانسانى قد أصاب فى ناحية من النواحى كبد الحقيقة فان ذلك ليس معناه أنه أصاب كل الحقيقة ، فالفكر الانسانى مع ذلك ناقص او غير مكتمل ، أما القرآن وهو كلام الله فان كلماته المنزلة تعبير عن الحق وانه كامل الحقيقة لا يحتاج الى دليل فوق ما أثبته .

رابعا واذا كان الفكر الانسانى قد نجح فى الوصول الى بعض النجاحات فى فروع المعرفة ، فانه فى نفس الوقت أخفق فى تحقيق السعادة والامن والسكينة لاغلب الناس وذلك لاتباعه منهجا قاصرا يتغير بتغير الناس والبيئات والظروف الاجتماعية ، ومن ثم فان ذلك المنهج غير صالح الا فى عصر او بيئة من البيئات أما القرآن فهو لكل عصر وزمان ومكان .

خامسا اذا كان الفكر الانسانى يعتقد أنه الآن فى حاجة الى تغيير مناهجة الحياة مثل منهج الاخلاق والتربية وعلم النفس ، فذلك لأنه بعد عن هدى الدين وأن ثم يرجع اليه فستمر الانســـانية بعثرات عديدة ، وتنتكس على عقبيها ما دامت تصر على اتباع الاهــواء والاعتماد على التجارب السلبية التى تضر بالانسان مما تفيده ثم سترجع فى النهاية وحتما الى الله

سادسا ان الكمال لله وحده وما دام هذا هو الرأى الذى يواكب الفطر السليمة والعقول الرشيدة فانه أجدر بالانسان أن يراجع نفسه ويعلم ان الطريق الوحيد الموصل الى بر الامان هو طريق الله وان ما عداه من الدروب والدهاليز لن توصل الا الى الضلال المبين

سابعا ان الحياة الدنيا قصيرة مهما طالت ولا تحتمل ان يجرب الانسان مذاهب ونعرات ودعاوى يتوهمها الانسان بعقله العـــاجز أنها الموصلة الى الحق ثم يتبين الانسان بعد فترة أنه لابد أن يصد لها بعد نبت فشلها وبعدها عن الحق والرشاد ، حقا ان الحيـــاة قصيرة مهما طالت وعليه فان على الانسان أن يهتدى بكلام الله قبل أن يفوت الاوان ويظلم نفسه ، ويبتعد عن الهداية فيقع فى الالحاد والكفر المبين فلا حاجة لتجربة جريمة القتل ليتعرف ان هذه الجريمة تضر بالناس أجمعين ٠٠ بل عليه أن يؤمن منذ البداية بفطرته السليمة ان القتل والسرقة كما يرى الدين ظلم شديد فيتجنبها منذ البـــداية وبذلك يأمن الشرور والوقوع فى الأهواء والغواية ٠

ان منهج الله واضح كامل يهدى الى الحق

« ومن يبتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه »

لذلك فنحن ندعو هؤلاء المغترين ان ينبذوا ضلالاتهم ، ويقبلوا على دين الله فهو أفضل ما يمكن أن يتبع فى الدنيا والآخرة ٠٠ فاذا لم يفعلوا فقد ظلموا أنفسهم ظلما شديدا واستحقوا عقاب الله وان عقـــاب الله لشديد ،

استطاعة الانسان

لقد اجمع الصوفية على أن الله سبحانه وتعالى خالق لأفعال العباد كلها ، وأن كل ما يفعله الانسان من خير وشر راجع لارادة الله وقضاء الله ومشيئته وقدرته ، ولولا ذلك لم يكن الانسان عبدا ، ولم يكن تعالى خالقا وربا

« قل الله خالق كل شيء » (الرعد ١٦)

« انا كل شيء خلقناه بقدر » (القمر ٤٩)

« والله خلقكم وما تعملون » (الصافات ٩٦)

ويرد الصوفية على مزاعم الفرق الكلامية التى تدعى أن الأفعال مخلوقة لله ، وأن الأعيان مخلوقة للعباد بانه لو كان حقا لكان خلق العباد اكثر من خلق الله ولكان الناس أتم قدرة من الله تعالى ٠٠ ولكانوا أولى من المدح والثناء من الله ، يؤيدون ذلك بقوله تعالى

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم »
(الرعد ١٦)

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار »
(الرعد ١٦)

فالصوفية يرون أن الله سير العباد وخلق سرهم وجهرهم مصداقا لقوله تعالى

« واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور »
(الملك ١٣)

أما فيما يتعلق بالاستطاعة ، فانهم يرون أن الانسان لا يقدر أن يتنفس نفسا ولا يتحرك حركة الا بقوة يحدثها الله تعالى فيه ، وأما الاستطاعة فان الله يخلقها فيه ، ولايوجد الفعل الا بها ، ولولا ذلك لاستطاع العبد أن يفعل ما يشاء ، ويحكم بما يريد ، ولم يكن الله هو القوى القدير

ولو كانت استطاعة الفعل نتيجة لوجود الأعضاء السليمة لاستقل بالفعل كل ذى اعضاء سليمة الا أننا نرى من هو صاحب اعضاء سليمة

ولا نرى منه فعلا .. ويلزم عن ذلك أن هناك قوة عليا تمد الأعضاء السليمة وهي متفاضلة في الزيادة والنقصان ، مختلفة من وقت لوقت ، كما أن هذه القوة عرض من الأعراض غير ثابتة في الانسان ، فلا تبقى في نفســـه ولا ببقاء غيره ، فيلزم من ذلك أن تكون قوة كل فعل انساني صادرة عن قوة من غيره ، ومن هنا كان افتقار الانسان الى الله وحاجتــه الدائمــة اليه تعالى ، ولولا ذلك لكان الناس أغنياء عن الله ، ولكان قوله تعالى

« واياك نستعين » (الفاتحة ٥)

لا معنى له ، واذا كان الفعل يصدر بدون قوة الله فان ذلك ينتهى الى ابطال الربوبية والعبودية جميعا ، واذا كان من الممكن أن يقوم فعـــل بدون قوة لا نتهينا الى أن الفعل يصدر بدون فاعل (١) . الا أن الصوفية قرروا أن العبد يمكن أن يكتسب الأفعال ، فهو يفعل لجر منفعة أو دفع مضرة ، ومن هنا يأتي الاختيار فيمكن أن يكتسب العبد أفعاله دون أن يكون مجبرا ولا مستكرها في أفعاله .. أى أن هناك اختيار لقوله تعالى

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (البقرة ٢٨٦)

---

(١) الكلاباذى ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٦٠

المجادلون بغير علم

من اليسير على أصحاب الهوى أن يتقولوا على الله كذبا ، ومن الصعوبة بمكان أن يلتزموا أدب العبودية وأن يقنتوا لله طائعين مستغفرين تائبين ..

ان أدب العبد مع ربه يلزمه أن يعرف حدوده فلا يتعداها أبدا ، يعرف أنه عبد ضعيف والله هو القوى ، وانه تعالى الغنى عن العالمين ، والعبد هو المحتاج على الدوام الفقير على الاستمرار

فاذا تجاوز العبد حدوده وأطلق العنان لهواه فاضله عن قصد السبيل ، فقد أغراه شيطانه ، ونازع الله فى ملكه ، واعترض على حكمه ، وتطاول برأيه ليتحدى مشيئة الله وارادته

ان العبد الصالح لا يقصر فى واجبات العبودية ولا ينازع الربوبية ، ولا يجد لنفسه حولا ولا قوة ، ولا يسمح لنفسه أن يعبد الله على حرف وأن يتأول حكم الله وحججه فى الكون والخلق والحياة والموت .

ان إقدام العبد على مشاركة الربوبية فى الحكم على الأمور والأفعال ظلم للنفس ، وافتراء على الحق ، وشرك خفى يوقع الانسان موقع التهلكة

« وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » آل عمران ١١٧

ان العاقل من لا يجادل فى الله بغير علم ولا كتاب مبين ، والا وضع نفسه متهما وحكما بغير حق ، وسقط فى براثن الضلال بغير علم ولا هدى

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »

الحج ٨ ولقمان ٢٠

وكأن العبد الضعيف المغتر بنفسه يريد أن يجعل الله له ندا ، فيحاوره ويحادثه ، ويقيس الأمر بعقله القاصر وظنه الفاسد ، معتقدا أنه يقول الحق وينشد الخير ، وهو انما يتبع الظن ويعشش على قلبه الوهم ، ويزعم أنه انما يبغى الرحمة وهو فى عذاب السعير

لقد أوضح الله لنا فى كتابه العزيز ، كل ما يحتاج المرء لمعرفته فى حياته الدنيا وبين له طريق الحق والأمن ، كما بين له طريق الباطل

والضياع ، وترك الانسان ليختار بلا اكراه ولا اجبار الطريق بعدما أعلمه ، بأن رحلة الدنيا انما امتحان وتجربة له واختبار · وقد ابتلاه تعالى بالخير والشر فتنة ، وذلك ليتعرف على معدنه ، ويختبر ايمانه ويمتحنه عند المحن والشدائد ··· ولولا عدل الله ما ابتلاه ، ولعذبه على أفعاله التى سيفعلها فى دنياه اذ وسع ربنا كل شىء علما ···

ومهما حدثت العبد نفسه بالتقول على الله ، ووافقت اباطيل الشيطان ، فان الله تعالى سيفضحه ، ويظهر أمام الملأ الباطل الذى يزعمه والكذب الذى يدعيه ···

« مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » الكهف ٥

ان الحديث الصادق من الله أو عن الله وبكلمات الله وآياته البينات ،

« ومن أصدق من الله حديثا » النساء : ٨٧

لكن حديث النفس لا يصدق أبدا ، انما هى أمانى زائفة وآمال كاذبة ، ودعاوى تدعيها وأضغاث أحلام لايعول عليها ، وأباطيل ينفثها الشيطان الرجيم فى قلوب أصحاب الهوى ·

« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا »

الكهف ٥٧

يبتلى الله سبحانه وتعالى الناس فى هذه الحياة الدنيا بالنعم والنقم ، والخير والشر ، وذلك لحكمة لا يعلمها الا هو ، ولولا دفع الله الناس بالخير والشر ، لفسدت الأرض ، اذ الدفع ناموس الحياة الدنيا ، وفيه صلاح الأرض والعباد

ويمتحن الله تعالى الناس بابتلاءات ليعلم الصالح منهم من الطالح ، والمصلح من المفسد فالابتلاء تجربة واختبار يمتحن فيها معدن الانسان ليعرف الخبيث من الطيب ، والا أدعى المنافقون البر والتقوى ، وهم كاذبون قانطون ·

واذا توهم الانسان ظلم الله له ، واعتـرض على مشيئته ، ولامه على قضائه ، فقد كشف عن دخيلة قلبه المريض ونصح نفسه الكذوب

واذا لم يتول الله الانسـان بهدايته وتوفيقه ، سقط في مهاوى الضلال ووقع في براثن الشيطان ، وتسلسل معه في الضلالات ، حتى يوقعـه في الشرك الأكبر ، ثم يتولى عنه وهو يقول

« انى برىء منك ، انى أخاف الله رب العالمين » الحشر : ١٦

فاذا لم يتادب العبد مع مولاه وخالقه وموجـــده وفاطـره ، ويعرف حدوده ، ويعلم أن عقله قاصر عن ادراك حكمة الله وحججه وآياته في الكون والخلق والحياة .

اذ لم يعرف الانسان ذلك استحوذ عليه الشيطان وأمر اليه بتهاويله فافزعه وأرعبه ، وبتحاسينه فحســـن له الشر وقبح له الخيـــر ، حتى يقع فى الريبة والشك والتخليط والتخيل ان من يتحدث مع نفسه حديث الامانى الكاذبة والآمال الزائفة ، لا يتحدث مع الله أو الى الله ، كيف وهـو يعترض على حكمه تعالى وحججه ، اذ لا يمكن أن يكون ملهما من الله ، وهـو يقول عن الله شططا ، اذ أن الملهم من الله يستسلم لقضائه ، ويتخلى عن اختراره لنفسه ، والمتأدب مع الله يستسلم له ظاهرا وباطنا ، ويسترســل معه تعالى دون اعتراض أو تحدى أو افتراء .

ويستحوذ الشيطان على النفس الكذوب ، ويلقى فى روعهـــا بالامانى الكاذبة والآمال الزائفة ، ويظن افتراء أنه يتحدث مع الله ، وهو فى واقع الامر تحدثه الشياطين ، وتلهمه بالأكاذيب والمفتريات ، ولا يفرق بين حديث الشياطين وحديث الله

« ومن أصدق من الله حديثا » النساء ٨٧

« ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٦

ان النفس الانسانية اذا استقامت اطمأنت وسكنت ، واذا أطاعت الهوى

ووافقت الغواية أنحرفت عن الطريق المستقيم وبثت الشياطين فى روعهـــا الأباطيل والأحلام وظنت أنها بذلك تتبع الحق ، وتوهمت أنها فى طريق الخير

الحقيقة أنها تسير فى طريق الانحراف عن العدل والحق ، وهذا هو الظلم العظيم اى على الانسان أن يستقيم ، وذلك بأن يطيع الله ورسوله ويؤمن أيمانا عميقا بانه تعالى لا يظلم أحد ، فاذا ما استقامت النفس اظلتها السكينة وازداد القلب ايمانا مع ايمانه

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمـــانا مـــع ايمانهم » الفتح ٤

المحـــور

ليس للانسان حجة على الله بعدما أرشـــده الى الطـريق الذى يجب أن ينتهجه فى الحياة الدنيا ، ولقد أوضح الله تعالى للانسان فى القصص القرآنى سننه الكونية وقص عليه القصص ليسترشد بحكمته البالغة وحججه الدامغة فى السلوك والأخلاق والمعرفة

أراد الله بسننه أن يجنب الانســـان الوقوع فى الشر لجهله وقلـــة حيلته فبين له فى القصص القرآنى شاهد ما حدث بين عـــدو الله ابليس الذى خلقه من نـــار فتجبر وتكبر وعصى أمر ربه وقـــال أأسجد لمن خلقته طينا ؟

عصى ابليس أمر ربه بالسجود لآدم وزعم أنه أفضل خلقه اكتمــــالا ونسى أنه تعالى خلقه من عنصر واحد وهو « النار » لقد خلق آدم من عنصرين التراب والماء أو الطين اللازج فتفضيل ابليس نفسه على آدم دعوى كـــاذبة اذ أنه لاشك أن عنصرين من العناصر الأربعة وهى الماء والهواء والنـــار والتراب ان عنصرين أفضل من عنصر واحد بالاضافة الى أن المــاء الذى يحمله الطين المخلوق منه آدم أفضل العنــاصر على الاطـــلاق اذ أن فى خلقه آدم المــاء الذى ليس موجودا فى خلقه ابليس كما أن المــاء أساس الأحيــاء كلها تصديقا لقول عز من قائل :

« وجعلنا من المــاء كل شىء حى »

فابليس على هذا كاذب فى الدعاية ظالم لنفســـه استحق غضـــب الله ونقمته عليه ، بذلك صار الامر الالهى فى قول عز من قائل :

« أخرج منها مذءوما مدحورا » الاعراف : ١٨

تملك الحقد ابليس اللعين وتوعد آدم وذريته بالغواية وعصيان أمر الله وتحدى أن يكون أكثر بنى آدم من المؤمنين وامهله الله الى يوم الدين

أمر الله تعالى آدم وزوجة بسكن الجنة وان يتجولا فيها كيفما شـــاءا وأن ينعما بالثمرات كيفما أرادا الا شجرة وحيدة أمرا الا ياكـــلا من ثمراتها

لكن الشيطان أغواهما فعصى أمر ربهما وخالفا أوامره وأكلا من الشجرة المحرمة فوقعا في المقت العظيم .

وجد آدم وزوجته انفسهما عاريين تماما وقد ظهرت عوراتهما لاتباعهما ما زينه الشيطان الرجيم لهما ألم ينهاهما ربهمـــا عن هذه الشجرة ؟! ألم يذكرهما بان الشيطان لهما عدو فاتخذوه عدوا

اعترف آدم وزوجه باثمهما واقرا بذنبهما وقالا ياربنا ظلمنا أنفسنا فان لم تعفو عنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

صدر الأمر الالهي بأن يهبطا الى الارض ليصبح آدم وذريته بعضهم لبعض عدو وليستقروا في الارض ويتمتعوا الى حين يتوالدون ويعيشـــون وفيها يموتون ثم عند البعث يخرجون .

لقد خلق الله تعالى لآدم وزوجته ثيابا تستر عوراتهما وأدوات يتزينا بها الا انه تعالى يبين لهما أن لباس التقوى خير وأبقى وأن الطاعة والقنوت لله تعالى يقيهما من عذاب السعير ، ولم تأت قصة آدم في القرآن العظيـم الا ليتعظ بها الناس ويحرصون على طاعة الله وشكر نعمة الظاهرة والباطنة

وما يزال الشيطان الى وقتنا هذا وسيظل الى يوم الدين يستحوذ على غالبية البشر ويغويهم بضلالاته ويستجيبوا له كما استجاب آدم من قبـــل وخرج من دار الكرامة الى دار الدنيا ليشقى ويكابد ويعاني من أســـاليب وخدع الشيطان وأعوانه .

اذ ان الشيطان يأتي للانسان من حيث لا يشعر ويوقعـــه في الاثم ويستخدم معه اساليب شتى ليسقط في براثن الضلال ولا يتعلم الانسان أبدا بالرغم أن الله يبين له في سننه الكونية وقصصه القرآنية الغـواية الشيطانية وأن ابليس عدو الله والناس أجمعين

وما يزال الانسان يرتكب الفواحش ويأتي الموبقات ويفعل المنكـرات ويوافق هواه فيلعب الميسر ويتعامل بالربا ويملأ الدنيا بالفواحش والذنوب والآثام

وتظهر الاحصائيات فى هذا العصر أن معدلات الجريمة قد زادت فى العالم كله أكثر من ذى قبل وأن الفواحش قد انتشرت بشكل ملحوظ حتى انه ظهر بعض الأمراض التى هى نتائج لا قتراف اللواط والسحاق بل نتيجة للزيغ الحيوانى مثل القرد والكلاب ومن أكثر هذه الأمراض تفشيا فى الغرب مرض « الايدز » وهو يقضى على الانسان فى فترة لا تتجاوز شهور اذ يهاجم خلايا الجسم ويدمر كرات الدم الحمراء والبيضاء فيفتك بالانسان ٠

وما تزال الهيئات والمؤسسات الصحية تحاول أن تجد علاجا لهذا المرض الخبيث لكن أبحاثها ودراساتها لم تأت بأى نتائج ايجابية اذ أن هذا المرض اذا دخل جسم الانسان أتلفه تماما فكتب على صاحبه الموت العاجل ٠

فهل لابد للانسان من أن يرتكب الجريمة ليعرف أنها شر ؟

هل لابد للانسان المعاصر أن يجرب العلاقات الجنسية الغير مشروعة ليعرف أنها تؤدى الى الهلاك فى الحياة الدنيا والآخرة ؟
الابد أن يأكل الانسان من الشجرة المحرمة ليستبين بعد ذلك أنها ستؤدى الى الهلاك ؟

لقد وهب الله الانسان عقلا ليميز به بين الخبيث والطيب وأوصاه بفعل الخيرات وتجنب الموبقات والاستجابة لامر الله وذلك لخيره ومصلحته فى الدنيا والآخرة ٠

لكن الانسان مع ذلك يتابع خطوات الشيطان ويغفل ويتغافل عن أمر الله ويوافق شيطانه تجبرا وتكبرا واعتزازا ويقع فى الضلال ويعصى أمر الله فيأكل ما حرم الله ويعاقر ما نهى عنه ويملأ الدنيا فسادا فهل لهذا الفسوق والعصيان من آخر ؟

لا يصلح ولا يمكن أن يطلق على انسان هذا العصر الا لفظ «المدحور وهو المطرود من رحمة الله وجنته وفضله وعفوه جميعا وهو الشقى التعيس فى الدنيا المعذب فى الآخرة فكما طرد ابليس من جنة الله ليصبح هائمـ

على وجهه حتى تقوم الساعة ، يصبح انسان هذا العصر نظرا لكفرة وفسقه كالشيطان مذموما مدحورا •

ان الفطرة السليمة التى أودعها الله فى قلب الانسان وعقله تدعوه الى الاستقامة والقوامة فهل فقد انسان هذا العصر فطرته السليمة وأصبح من المذمومين المدحورين ؟

لاحل لمشاكل هذا العصر وأمراضه البدنية والنفسية الا بالرجـــوع الى أمر الله وهدى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا نوع من الطب الوقائى الذى يستغنى به عن الطب العلاجى •

فبالايمان والطاعة لله يحظى الانسان بالامن والسكينة بعيـــدا عن الآفات والخبث والشر وهذا كفيل بأن يجعله سليما معافيا من الأمـراض والشرور وقد ملأته الطمانينة ووقر فى قلبه الامن والسـكينة وهذا ما أراده الله أن يكون عليه الانسان فى كل زمان ومكان •

جهاد الشياطين

أعترف لك انك نجحت الى حد كبير فى غواية أبناء هذا العصر الغرب وفتنت غالبية الناس الى طلب الدنيا وزخرفها فاهتموا بالاعراض ونسوا الجواهر وانساقوا الى الاشكال وابتعدوا عن المضامين والهتهم المظاهر الكاذبة فرفضوا المعانى الخالدة ، وغرقوا فى الماديات فحجبت عنهم الروحانيات ، وشدوا الرحال الى الملذات فذاقوا عذاب الحجوبات ، وتمنوا الحياة فماتوا وهم أحياء ، وتمردوا على الحقائق فعاشوا فى الاباطيل ، والتحفوا بالشهوات فضلوا سواء السبيل ..

أعترف أيها اللعين انك نجحت فى هذا العصر كما لم تنجح من قبل ووافقك كثير من الخلق فى ضلالك المبين ، وسار خلفك جمع غفير يظنون انك ستحقق لهم — كما وعدتهم — السعادة المنشودة وهم غافلون انهم ذاهبون الى حتفهم الاخير مثل الشياه التى تسلم الى سكين الجزار

أعترف لك أن نجاحك كان بنسبة عالية فى العصر الذى زاد فيه أصحابك لكن ليس معنى ذلك انك ستحقق كل أمانيك الحاقدة ، فهناك نفر قليل من الناس اخلصوا ماعاهدوا الله عليه ، وهم مستبسلون فى الدفاع عن عرين الدين ، مخلصون فى اعلاء كلمة الله يجاهدون بأنفسهم وأموالهم فى سبيل تحقيق شريعته ... واتباع حكمه تعالى ...

وهذا النفر القليل عظيم الايمان ، قوى الاركان لا يخاف فى سبيل الحق لومة لائم لايهابون غير الله ولا يخشون عددك وعتاد أوليائك ولا ترهبهم جندك وأساطيلك ويثقون ان الله ناصرهم عليك وعلى أعوانك مهما طال الزمن وابتعدت الشقة الى شاطىء الرحمة والامن والسلام

اكتب اليك هذه الرسالة وأعلم انك تتبسم ضاحكا حتى تكاد من الضحك تنقلب على قفاك ، لكننى واثق كل الثقة انك فى داخلك مغتاظ كل الغيظ ، حانق على كل الحنق ، كداب أوليائك كلما أحكم الخناق عليهم بادروا

بالاستخفاف والسخرية والاستهزاء

لكنى مع ذلك أقول لك أيها اللعين ان حيلك الدنيئة فى المغرب والمشرق بدت واضحة للعيان ، وكلما ازددت اغواء ازداد المؤمنون جهادا وتمسكا بدينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ٠٠

انك تجاهر الآن بنجاحك فى أفغانستان كما جاهرت بنجاحك فى فلسطين من قبل لكن هذا النجاح بالعين مؤقت وهو ابتلاء للمسلمين ليجمعوا صفوفهم وينظموا أنفسهم لرحلة الجهاد ضدك وضد أعوانك من البشر ولابد لهذه الظلمة ان تنجلى ويشرق الصبح بنور الانتصار ٠٠ وليس الصبح بعيد

ان الحرب بيننا وبينك لن تنتهى الا بقيام الساعة حيث تلقى الجزاء الأنكى والعذاب المقيم والى ان تقوم قيامتك لن تستريح أبدا فنحن نعد لك القوة والعتاد ما استطعنا الى ذلك سبيلا لنوقف زحفك ونصد مظالمك ونعيد كلمة الله الى الارض المخضبة بدماء المسلمين

أيها اللعين لن نهابك أبدا ولن تجد الا اخلاصنا لله وهذا ما يضيق صدرك فوق ضيقة ويعكر صفوك فوق تعكيره وهذا أملنا ان نرد الصاع صاعين ٠٠

نحن لا نخافك يا لعين انما نخاف رب العالمين ، ونحن لانهتم بغواياتك فقد حذرنا الله منها فى كتابه المبين ، ونحن لا نصادقك أبدا فقد أعلمنا تعالى بانك العدو للبشر أجمعين ٠٠

وأخير وليس آخرا نحن ننتظرك دائما ونعد لك المفاجأة الكبرى والتى لم تكن تتوقعها لتموت بحسرتك ان شاء الله ٠

الارهاب بين شريعة الله والقانون الوضعي

تستخدم بعض المصطلحات الخاطئة في الوطن العربي بعامـة ومصر بخاصـة ، وهذه المصطلحات قد وصلت الينا اما من الغرب الليبرالي أو من الشرق الشيوعي

وربما يقصد أصحاب الغزو الفكري من تثبيت هـذه المصطلحات الغربية في مفاهيمنا واعرافنا ومنهجنا للبلبلة والتشويش ، بحيث نتلهى بها عن التمسك بالشريعة السمحاء والهدى النبوي ..

ومن هذه الالفاظ التي نستخدمها بوعي أو بدون وعي لفظ «الارهاب» والتعريف المتعارف عليه في القانون الوضعي .

« احداث خوف أو ذعر نتيجة لعمل خطير ينافي حقوق الانسان »

فاذا تأملنا هذا التعريف في النظرة الاسلامية نجد أنه تعريف لا يواكب كلمات الله البينات ، اذ هو تعريف قاصر يجعل القانون الوضعي به ثغرات عديدة لا تساعد في التطبيق على الاسترشاد بالحق والعدل .

والدليل على صدق ما نقول أن الله تعالى يبين لنا في آياته ضرورة استخدام الارهاب ضد أعداء الله وأعداء المسلمين ، وان التقاعس عن ارهاب الاعداء بالقوة والعدة والعتاد ، يعتبر موقفا انهزاميا يعاقب الله عليه المسلم في الدنيا والآخرة ، ويوضح الله تعالى الطريق الواجب استخدامه مع أعداء الله والمسلمين فيقول عز من قائل

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » الانفال ٦٠

فكيف يزعم القانون الوضعي الدولي أن الارهاب ينافي حقوق الانسان لما يحدثه من فزع وزعر ورعب في بعض النفوس التي ربمـا تكون نفوسا عدوانية ظالمة متجبرة متسلطة ...

ان هذا التناقض بين شريعة الله والقانون الوضعي واضـح كل

الوضوح ، فالذى يرهب عدو الله وعدو المسلمين مجاهد فى سبيل الله ومفضل عنده تعالى على القاعد والمتقوقع درجات ...

فالفلسطينيون المجاهدون يرهبون عدوهم الصهيونى الظالم المتعدى المتجبر فى الأرض ، وذلك بمهاجمته بكل وسيلة مستطاعة ، فهل يعتبر هؤلاء المجاهدون الذين يستشهدون فى سبيل الله ، ما يطلقه عليهم القانون الدولى الوضعى من مسميات غريبة يقصد بها تحقير نضالهم ونعتهم بالمجرمين والمتوحشين والهمجين والسفاحين ، حيث أن تعريف الارهابى فى القوانين الوضعية يظهره على أنه انسان ليس له قيم ولا انسانية ولا أخلاق ...

ولقد استخدم لفظ الارهاب لا بالنسبة للمجاهدين الفلسطنين فحسب، بل أطلق أيضا على الجماعات الاسلامية ، ووصموا بأنهم ارهابيون لانهم فى ظنهم أن المتدين يستخدم الارهاب الدينى ، برغم أن الاديان السماوية بعامة والدين الاسلامى بخاصة يرفض العدوان ويستنكر أصحابه .

« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » البقرة : ١٩٠

« وقولوا للناس حسنا » البقرة ٨٣

« فاصفح الصفح الجميل » الحجر ٨٥

فكيف يستقيم اصطلاح « الارهاب الدينى » مع حقيقة الدين الذى يستهدف الرحمة والصفح الجميل وعدم الاكراه فى الفكر والسلوك أو التطبيق ؟ !

« لا اكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس : ٩٩

ان الاسلام دين عدل لا عوج فيه ولا ظلم ولا عدوان ، ومن يقول غير ذلك فهو جاهل بحقية الدين وشريعة الدين اذ هو دين فطرى فطر كل الناس عليه

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » الروم : ٣٠

وقول عز من قائل

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » المائدة ٣

فكيف ياتي بعض الحاقدين على دين الله فيزعمون أن هناك ارهاب ديني يتنافى مع حقوق الانسان في ابداء رأيه ومذهبه العقلي

وربما يندس بعض أصحاب الفرق الضالة والخارجة عن الاسلام داخل الجماعات الاسلامية ، فيقولون على الله كذبا ، ويحرمون ما أباحه الله ، ويرمون الناس بالكفر والالحاد دون سند من الحق والحقيقة

فهل يمكن أن يقال أن هؤلاء النفر يمثلون الدين الاسلامي من قريب أو بعيد وهل يمكن أن يقال عن هؤلاء أصحاب الارهاب الاسلامي ، أو المسلمون الارهابيون ٠

ان الدين شيء ، والتمسح في الدين شيء آخر والمسلمون المعاصرون شيء ، والشريعة الاسلامية شيء آخر ، اما اذا اتبع المسلمون أوامر الله وحكموا كتابه القيم وشريعته الغراء بينهم ، فانهم في هذه الحالة يقرون بحق بدين الاسلام ٠٠٠ العبرة اذن بالتمسك بشريعة الله وحكمه القيم ، أما أصحاب الفرق الضالة والخارجة عن الاسلام ، فلا يمكن أن يقرنوا بالاسلام من قريب أو بعيد ، وان وضعوا شعارات كاذبة على اكتافهم فينخدع بعض البسطاء بمظاهرهم الكاذبة ، ويظنوا أنهم مسلمون

لا يمكن لانسان يعرف الدين الاسلامي معرفة طيبة ، وهو الذي يدعو الى الخير الفاضل والوسط العدل في الفكر والسلوك والتطبيق الى استخدام هذه المصطلحات الضالة المضلة ليوافق الهوى ويدعى كذبا وبهتانا أن المسلمين يدعون الى :

١ — الاقطاع الاسلامي

٢ — الارهاب الديني

٣ — الارهاب الفكري

٤ — الارهاب القانوني

ونحن لا نتصور أن انسانا مسلما مؤمنا بالله واليوم الآخر يدعو الى العداون أو التجبر او ظلم العباد أو الاستغلال أو الاستعمار ، والا يعتبر خارجا عن الشريعة الاسلامية ، فكيف يتهم بعد ذلك أصحاب القلوب المريضة، بعض المسلمين بأنهم يدعون للارهاب الدينى ...

وواضح أن الهدف من ذلك زعزعة الثقة فى حزب الله ، وتشكيك ضعاف الايمان بالدين القيم والشريعة السمحاء ، وذلك لتخلو الساحة لحزب الشيطان ليعيث فى الارض فسادا وافسادا •

لكن الله يمهل ولايهمل ، وانه تعالى سيخذلهم وينصر المؤمنين لقـــــول عز من قائل

« يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »
ابراهيم ٢٧

الفصل السابع

المفاهيم والمصطلحات فى النظرة الاسلامية

١ ـ الحضارة الغربية فى الميزان

٢ ـ حول مفاهيم التربية الحديثة والمعاصرة

٣ ـ جدل النفس اللوامة

٤ ـ والآن من أين نبدأ

خاتمـــة

١ – الحضارة الغربية فى الميزان

اننا يمكن – بالاضافة الى ماسبق – أن نبين عقم الجدال الذاتى والمادى وتهافته وذلك من عرض لبعض المثالب والعيوب التى يؤدى اليها فى عالمنا المعاصر بل ويهدف اليها بوعى أو بلا وعى فى موضوعات وقضايا متفرقة لها علاقة بالانسان والعلوم الانسانية والحياتية .

يلوك بعض المستغربين بمصطلحات غربية يتابعون فيها طعن المسلمين بأنهم شعوب متخلفة أو بدائية بوصفها شعوب فقيرة غير متمدنة أو متحضرة.

وهذه المصطلحات التى أصبحت عالمية الآن تلوك بها السنة الطاعنين والحاقدين لاتمت الى الحقيقة بصلة من قريب أو بعيد ..

فالشعوب الفقيرة ليست بالضرورة شعوب غير متحضرة ، والدليل على صدق مانقول أن المسلمين فى الصدر الأول للاسلام قد غزو العالم كله وهم فقراء حفاة لايملكون شيئا الا الايمان بالله .. ويتعجب أكبر المؤرخين المعاصرين وهو « أرنولد توينبى » من هذا الغزو فيقول : كيف هؤلاء العراة الحفاة قد غزوا أكبر امبراطورتين عظيمتين وهما امبراطورية الروم وفارس فى حقبة زمانية قياسية ..

ويستطرد قائلا لابد أن الغارات كانت ملتصقة بعضهـا ببعض فى هذا الزمان بل أن هؤلاء العرب كانوا أهل الحظوة ..

ليس ما يقوله أرنولد توينبى صحيحا انما الحقيقة أن المسلمين فى صدر الاسلام كانوا مؤمنين قولا وحقا وأن الرجل منهم كان أفضل من عشر رجال من غير المسلمين ، وليس الفقر دليلا على التحضر والتمدين بالضرورة فكم من شعوب فقيرة لها قيم ومبادىء تفوق غنية تعتمد فى دخلها على استغلال الضعيفة وتتخذ من مبدأ القوة البهيمية شعار ومن الانانية سلوك وأخلاق ..

وهاهى الولايات المتحدة الامريكية التى تعتبر من أكثر بلاد العالم تمدين وتحضر تعتدى بأساطيلها وطائراتها على الشعوب الضعيفة وتقتل

العزل من الشيوخ والنساء والاطفال الابرياء الذين لا جرم عليهم ولا ذنب اقترفوه .

ولايمكن أن تسمى أو تدعى دولة متحضرة أو متمدينة وهي تعتدى على الابرياء وتأخذ حق الضعفاء وتظلم الناس والعباد ، يقول عز من قائل

« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

ولاشك في أن الاتحاد السوفيتي أكثر ضراوة وظلم في استعباد الشعوب المستضعفة برغم مايزعمه من الدعاوى الاشتراكية فهو يقتل شعب افغانستان بضراوة لا مثيل لها لا لشيء الا انه يطالب بحقه في الحياة الكريمة .

ولابد لنا في هذه الآونة أن نعرف تماما أن الدول الكبرى في هذا العصر هي دول استعمارية تحمل شعارات زائفة سواء كانت شعارات الديمقراطية أو الاشتراكية .

ان على الشعوب الاسلامية أن تفهم وبوعى ان الحضارة الامريكية والحرية والاخاء شعارات زائفة حيث أنها لاتستخدم فكرا وسلوكا عمليا انما تستخدم بحسب مع مواطنيها وأما مع غيرهم فيستخدم منطق آخر وهو منطق القوة والعدوان والانانية والاستعباد في الارض .

ان على الشعوب الاسلامية أن تفهم وبوعى أن الحضارة الامريكية والاوربية حضارة مادية فحسب عليها أن لاتجعلها نموذجا تقتدى به في نظمها وأخلاقياتها واقتصادياتها انما على الدول الاسلامية أن ترجع لتراثها وقيمها الدينية لتتخذ منها أساسا لتعاملاتها ونظامها السياسي

واذا لم تفعل الدول الاسلامية ذلك فكأنها تقدم نفسها فريسة سهلة لهذا الوحش المفترس ليلوك بين أنيابه اعضاء الامة الاسلامية دون رحمة أو انسانية .

وما تزال الدول الاسلامية بعامة والعربية بخاصة تحسن الظن بأصحاب الحضارة الامريكية والاوربية سواء في الشرق الشيوعي أو الغرب الراسمالي الامر الذى أدى الى التأخر والارتكاس الاخلاقي واذا أرادت الشعوب الاسلامية أن تتقدم ماديا وأخلاقيا فعليها أن تعتمد على ذاتها لان ترجع الى

منهجها القويم ودينها القيم وتتعاون بعضها مع بعض من أجل مصـــــالح المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وأن يكون مبدأها الايثار لا الأثـــرة والاخلاص وليس الرياء والعمل المثمر بدلا من التبطل والتواكل ٠ وبـــذلك تنهض الشعوب الاسلامية بحضارة العقل والقلب وبالعلم والدين وتسبـــق الدول الغربية في كل شيء حتى ترجع مرة أخرى كسابق عهدها نموذجـــا تقتدى به شعوب الارض جميعا وبذلك تنفض عن نفســها غبار التـــأخر والارتكاس الذى تتهم به في العصر الحديث ٠٠٠

٢ - حول مفاهيم التربية الحديثة والمعاصرة

من الملاحظ أن من يكتب فى الفكر التربوى الاسلامى ، لايهتم كثيـــرا بالمصطلحات التى يستخدمها فى مناقشاته وآرائه التربوية ، على أساس مثل سائد ، فحواه أنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، ومعنى ذلك أن أى مصطلح يمكن ان يؤدى المعنى يستخدم حتى لو كان له أبعادا ، أو مضامين ، لاتدخل ضمن الفكر التربوى الاسلامى ، ومثال ذلك مصطلح « الصراع أو الغـــريزة أو الموضوعية أو العلمانية ، وغير ذلك من المصطلحات التى يمكن ان يقصد بها معانى محددة أو اتجاها فكريا معينا •

ومن ناحية أخرى ، هناك اختلاف بين علماء التربية فى مفهوم التربية الاسلامية ، فنجد نفيفا من العلماء يركز على أن مفهوم التربية ، انما يقتصر على التعليم فحسب ، أو بمعنى أكثر تحديدا على المنهج الدراسى بينما ينظر علماء آخرون الى مفهوم التربية الاسلامية على أنه من الموضوعات العامة التى تهم جموع المسلمين ، ومن ثم فهى تعالج موضوع التربية على أســـاس انه معالجة للفكر التربوى فى الاسلام ، وعلى هذا ، فالتربية الاسلامية تهتـــم بالكون والانسان والحياة جميعا •

ولاشك أن النظرة الاخيرة تواكب الفطرة السليمة ، وتتمشى مع مفاهيم المسلم وقيمه الدينية ، لان تحديد العملية التربوية فى المنهج الـــدراسى معناه ، أننا نجعل مجال التربية ، المواد الدينية من فقه وتفسير وعقيـــدة فحسب ، دون اشتراكها مع العلوم الاخرى المكملة لها •

ولاريب فى أن ذلك معناه ان التربية انما هى تخصص ضيق ، مثل أى علم من العلوم ، ونحن نتصور أن العلماء الذين ينحون هذا المنحى ، وقد تأثروا كثيرا بالفكر الغربى الذى يهتم بالتخصصات الضيقة •

واذا كان ذلك مقبولا فى العلوم الطبيعية والتطبيقية والعملية ، فـــان ذلك يعد مرفوضا من وجهة النظر الاسلامية •

ذلك أن هذه النظرة للتربية الاسلامية بعيدة كل البعد عن الفكـــــر التربوى الاسلامى •

لذلك فاننا نتفق مع آراء علماء التربية الاســلاميين من المحـــدثين ، والذين يقررون بان التربية الاسلامية ، انما هى تلك المفاهيم التى يرتبط

بعضها ببعض فى اطار فكرى واحد ، مستندا الى المبادىء والقيم التى أتى بها الاسلام ، والتى ترسم عددا من الاجراءات والطرائق العلمية التى يؤدى تنفيذها الى أن يسلك سالكها بما يتفق وعقيدة لاسلام •

ونحن نذهب مع بعض الباحثين فى مجالات التربية الاسلامية ، الذين يقررون أن مصطلح التربية يشتمل على مفهومين متداخلين

الاول مفهوم عام يتعلق بالتربية •

الثانى : مفهوم خاص يتعلق بالتعليم •

والمفهوم الاول انما يتعلق بالعملية التربوية ككل ، أى انه يغطى المجتمع المسلم باعتباره ظاهرة مرتبطة بالحياة ، لاتتوقف فى زمان أو مكان معين اذ أن العملية التربوية تدخل فى المؤسسة التعليمية ، كما تدخل فى البيت ، كما تدخل أيضا فى المجتمع المسلم على مختلف مستوياته •

أما المفهوم الخاص للعملية التربوية ، وهو الذى يقتصر على عملية التعليم ، أو على التعليم الاسلامى كفرع من فروع الفكر الاسلامى ، الذى على أساسه توضع البرامج التعليمية ، وتختار المواد الدراسية ، وتصاغ الاهداف التربوية فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، بالاضافة الى علاقة الادارة المدرسية بالطالب ، والمنهج والبيئة ، وغير ذلك ، ولاشك أن المفهومين يتداخلان بعضهما مع بعض ، ولايمكن التمييز بينهما بسهولة ، الا اننا نهدف من وراء تحديدهما الى تعريف مصطلحى التربية والتعليم

ولهذا فنحن يتوجب علينا أن نرسم الاهداف والغايات للتربية الاسلامية ، باعتبارها مستمدة من القرآن الكريم والسنة المحمدية ، ونبين القواعد الاساسية فى بناء الانسان الصالح فى الاسلام ، ونبين الى أى حد تختلف نظرة الاسلام التربوية عن الفلسفات ونظريات التربية فى الامم المختلفة ، ونصف سلوك هذا الانسان وطريقة تفكيره وخصائصه المميزة ، والتى ينفرد بها دون غيره ، باعتبار ان التربية الاسلامية ، لها هدف أساسى وهو ربط الانسان بربه ، فمنهج التربية الاسلامية منهج ربانى وفطرى ومتوازن وشامل وواقعى وايجابى •

ومما لاريب فيه أن هدف التربية الاسلامية الاساسى هو التربية الخلقية ، التى ينبثق عنها سلوك المؤمن ومنهجه وطريقة تفكيره ، فارتباط المسلم بدينه انما يحدد مساره فى دنياه ، ومادامت تربيته الخلقية على هذا

الاساس التقى النقى الورع ، فان ذلك سيكون نبراسا يضىء حياته المستقبلة، اذا ما عمل فى أى فرع من فروع العلم والمعارف والصناعات ٠

ولايمكن ان يقتصر الانسان على تعلم حرفة من الحرف ، دون ان يتعرف على أخلاقيات هذه الحرفة ، ومن ثم يتوجب عليه أن يتربى خلقيا ، مع تعليمه الحرفة التى سيرتزق منها ٠

واذا ما تأملنا فلسفات التربية الغربية الحديثة والمعاصرة لوجدنا أن التربية الاسلامية قد سبقتها بقرون عديدة فى المناداة بالاساليب التربوية التى تنادى بها الآن ٠

ان أهم ماتنادى به التربية الاسلامية ، هو اقتران الدين بالدنيا فى الفكر والسلوك والاخلاق ، ذلك لأن اهمال الجانب الدينى فى العملية التربوية ، انما يعكس ظلمة القلب ، ومن ثم اتباع الهوى وغلبة الشهوات والانانية ، وهو الأمر الذى يقود الانسان الى الضلال المبين ،ولايمكن أن يتأتى ذلك الا بالفهم الرشيد والاقتناع والايمان ، والبعد عن طرق التلقين المتبعة فى الجامعات والمدارس ، والبعد عن الجوانب الايجابية التى تشتت تفكير الطالب ، ثم التركيز على الجوانب الايجابية فى العقيدة الاسلامية ، والتى يمكن أن تؤثر فى السلوك ، وكعوامل مساعدة يجب استخدام وسائل اقناعية ليتعرف الطالب على الحقائق اليقينية ، ليزداد ايمانا ويقينا بالمنهج الاسلامى كما أنه يجب تكوين عاطفة قوية نحو دينه القيم وشريعته السمحاء ، كى تحبب اليه موضوعات التربية الاسلامية ٠

فالتربية الاسلامية اذن ، هى تلك المفاهيم الاسلامية العظيمة التى تؤدى بالانسان الى عملية التخلية والتحلية ، التخلية من الاوصاف المذمومة ، والتحلية بالاوصاف المحمودة ، فهى تثقيف للعقل ، وتقوية للجسم ، وتزكية للنفس ، وتطهير للقلب ، دون أن يكون ذلك تضحية بأى من القوى على حساب قوى أخرى ، فهى عملية توازن وتناسب وتناسق وانسجام بين قوى النفس ، وبين قوى النفس وعلاقاتها بالله والكون والحياة والناس جميعا

فالتربية بمعناها العام ، انما تدعو الانسان الى أن يرتبط بخالقه ، وتسلك سلوكا يتفق مع عقيدة الاسلام ، وهذا معناه اشتمال التربية على العملية التربوية والتعليمية معا ، سواء فى البيت أو فى المدرسة أو فى المجتمع

وهذا جد مختلف عن نظام التربية مثلا فى المجتمع الشيوعى أو فى المجتمعات الاشتراكية ، اذ توجه وسائل التربية الى فلسفة عن الكون والحياة والانسان ، تجعله ينفصل بين العقيدة والتعليم ، وكان التربية انما تتعلق بالنجاح الدنيوى فحسب ، ولايختلف كثيرا الفكر الليبرالى عن الفكر الاشتراكى فى العملية التربوية ، فكلاهما ينحى هذا المنحى ، وهو فصل العملية التربوية بمعناها الواسع أو الضيق (التعليم) ، عن الله والدين ، واقتصار نشاطها وسائل التثقيف الاجتماعى ، وعلى نظم وضعية وفلسفات مادية ، تبتعد كثيرا عن هدف التربية الاسلامية ٠

ان هدف التربية الاسلامية اذن ، انما هو جعل الفكر التربوى فى خدمة الدين ، على أساس تحقيق ذلك على مستوى الفرد والعائلة والمجتمع والامة جميعا ٠

لذلك فنحن نطالب باعادة صياغة المناهج التعليمية ، صياغة اسلامية ، تسمح للطالب ان يطبق مفاهيمه وقيمه وفكره التربوى فى عمله وحياته ، فيصبح بذلك داعية لله ، غايته أى كان عمله ، رفع راية الاسلام ، والغوص عن دينه الحنيف ٠٠

ان كل معرفة للطالب فى مدرسته أو فى أى مؤسسة ثقافية جامعية أو شعبية ، ان كل معرفة له بالانسان والكون والعالم والله ، واستثمارها لخير الانسان وأمنه ، وسعادته فى الدنيا والآخرة ، هى أعظم رسالة يمكن أن يؤديها فى حياته الدنيوية ٠

واذا تعرف الانسان على خالقه وفاطره ، وعمل بأوامره ونهى عما نهى عنه ، فان ذلك الانسان هو الجدير بأن يكون خليفة الله فى أرضه والذى هو افضل النـاس ٠

٣ - جدل النفس اللوامة

قامت طائفة من صوفية الاسلام سموا بالملامتية بالتركيز على فضح عيوب انفسهم ومخالفتها وترويضها ، وقد حمل عليهم نفر كثير من الفقهاء بدعوى أن سلوكهم يتنافى مع أصول الشرع الذى ينكر تعذيب الجسم والنفس

واذ ما تمسكنا بظاهر الشرع نجد أن لرأى الفقهاء وجاهته ، أما اذا تعمقنا فى باطن الشرع لوجدنا أن لسلوك أهل الملامة وجاهته وحجيته .

واذا تأملنا قول عز من قائل

« لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة »

فاننا نجد لهذه الآية تفسيرا يدل على أن لوم النفس وندمها على اقتراف الذنوب له أصل فى الشرع ، فالندم لوم ، يتبعه التوبة ، والتوبة يمكن ان تكون توبة نصوح اذا صح لوم النفس وندمها على ما اقترفت من ذنوب ...

وهذا هو الصحابى ثعلبة الذى كان يخدم ويتبع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقع فى الذنب اذ يمر بدار فيرى الباب مفتوحا فينظر الى امرأة عارية تستحم ويعيد النظر ، ثم يتنبه الى ماوقع فيه من اثم ، ويتأكد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيعلم لامحالة بما اقترف من ذنب ، وسيكشف من فعلته ، فيبكي ويهرب الى الجبال فى طريق المدينة وهو يولول : « يا ويلتى من نار جهنم » ... ويبقى هكذا أربعين يوما الى أن يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم - جبريل الامين مكانه فيرسل له الفاروق عمر ليستدعيه ، فيراه باكيا مستعيذا من النار .. ويدخل على الرسول وهو يصلى فيغشى عليه ، ثم يعيش فى عذاب أليم الى أن يبشره الرسول صلى الله عليه وسلم بعفو الله فيشهق شهقة يموت فيها ، وبعد أن يواريه الرسول صلى الله عليه وسلم التراب يمشى على أنامله من كثرة من شيع ثعلبة من الملائكة ..

ويعتبر هذا الصحابى الجليل فى رأينا - من رواد الملامتية وأقطابهم قبل حمدون القصار ومن تابعه من هذه الطائفة ، اذ نجد فى شخصيته اللائم لنفسه لما اقترفت من ذنوب ، النادم على ما اقدم عليه من خطيئة ، الخائف من عذاب النار

ولم ينكر عليه الرسول لومه لنفسه الزائد عن حده ، بل هون عليه الأمر عندما بشره برحمة الله وعفوه على ماوقع فيه من خطيئة ، وقبول توبته ...

وفي تصورنا أن الملامتية وان كان في ظاهر أصحابها قسوة على البدن او النفس فان هذه الطائفة لاتبتعد كثيرا عن هدى الدين ، فالذى يخاف نفسه يصرخ على الملأ عندما يرى امرأة حسناء ... انما يريد ان يخالف رغباته الشهوية ، اذ كشف عيوب نفسه محاولا ان يفضحها حتى لاتتمادى في الاثم واقتراف الذنوب انما يروض نفسه المغترة الراغبة في مدح الناس وثنائهم ..

ولقد وقف الفاروق عمر مرة على المنبر وهو أميرا للمؤمنين فقال « انني كنت أعمل راعيا عند بني مخزوم نظير قراريط من التمر والزبيب » ثم نزل من على المنبر . فعاتبه عبد الرحمن بن عوف على ما قال ، وهو الأمير للمؤمنين فقال له حدثتني نفسي أنني أعلم الناس وأعظمهم مقاما وليس بيني وبين الله حجاب ، فأردت أن أزديها ففعلت ما فعلت ..

ولقد اقتدى الملامتية برسول الله في سلوكياته ، وان كان الرسول كان يعطي الانموذج الواجب الاتباع من التزهد والتواضع والايثار ، لا لخطأ ارتكبه كما يظن السذج ، انما كان يفعله ليتخذه الناس من أفعاله وأعماله قدوة لهم ، يقتدى بها المسلمون من بعده ، فقد كان الرسول يستطيع أن يكون ملكا نبيا ، لكنه فضل أن يكون عبدا نبيا ، لقد لبس الخاتم فاعجبه فخلعه ، جلس على الارض وكان يأكل كما يأكل العبد ومتواضع للناس ، ويمشى في الاسواق ويركب الحمار ..

ولقد اقتدى الصحابة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) كما اقتدى بهم الكثير من التابعين .

عندما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، اودع امواله وأموال زوجه في بيت المال ولبس الخشن من الثياب وعاش حياة البساطة ، ولقد كان عنده خادما ضاق ذرعا واشتكى من غذائه اليومي الذى كان من العدس ، فقالت له زوجة عمر بن عبد العزيز « والله يابني هذا طعام أمير المؤمنين منذ تولى الخلافة » ...

وهذه الاخلاق سمة جده الفاروق عمر بن الخطاب ولهذه الأخلاق أصل في الاسلام متمثلة فى الأسوة الحسنة وهى شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذى كان يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد مع قدرته أن يعيش حياة الملوك والرؤساء كما سبق الاشارة ...

لقد كان يمر على ابنة رسول الله أربعين يوما لايوقد فى بيتها نار كما تحدثت عائشة رضى الله عنها وهذا معناه أن الطريق الى الله يحتاج الى ترويض النفس وعدم اتباعها بمطالبها الحسية ... مع القدرة على الاشباع المادى والحسى

رقع الفاروق عمر ثوبه كما كان يرقعه الرسول ، ويخلع الطيلسان الذى لبسه مرة فأعجبت به نفسه ، كما خلع الرسول خاتما من اصبعه ورداء جديدا ألبسه ...

ان معرفة النفس وتأديبها وترويضها ومخالفتها فى حظوظها ليس بدعة انما لها أصل من الاسلام ، واذا كان بعض أهل الملامة يفعلون ذلك فانهم فى واقع الامر يقتدون بقطب الاقطاب بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين .

وليست طبقة الملامتية الا فرقة اسلامية اتهمت نفسها بالقصور وعمدت الى المجاهدة والسعى من أجل تربية النفس لكى تصل الى الكمالات الاخلاقية . لتنعم بسكينة النفس فى الدنيا ونعيم الآخرة

والآن من اين نبدأ

لماذا هذا الانحدار يا شيخنا فى الشعوب الاسلامية اليس هناك من سبب واضح يمكن تلافيه أتظل شعوبنا الاسلامية فى هذا الحال المخزى حتى تنهار تماما ..

وصمت الشيخ عارف لحظات كعادته ونظر الى الافق البعيد ثم التفت الى صاحبه عالم وقد احمرت وجنتيه وقال له :

ـ تسألنى عن السبب فى الانحدار ، والسبب معروف والسؤال عنه مطروق والجواب عليه فى كل قلب سليم محفوظ ...

ـ مادام السبب معروف فلماذا لاتحاول الامة علاج أسقامها ؟

ـ هل يستوى المؤمن وضعيف الايمان ياصاحبى .. هل يستوى المجاهد والقاعد .. هل يستوى الذين يعملون والذين لايعملون ؟ .. هل يستوى الذين يذكرون ربهم قياما وقعودا والذين ينسون الله وعنه يتغافلون .. ويتبعون الهوى ويتابعون الشيطان ؟ .. هل يستوى الذين يؤمنون بالغيب مع الذين لايؤمنون الا باللذات الحسية والرغبات الشهوية ؟ ..

ـ أفهم من كلامك أن مسلمى اليوم أكثرهم لايؤمنون ...

ـ لو كانوا مؤمنين حقا ما وصل الحال الى هذا المآل ، يقول عز من قائل:

« والو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا »

الجن : ١٦

فالمؤمن يا صاحبى لابد أن يرى بعض فضل الله عليه وتلطفه به ورحمته له وتثبيته فى القول والعمل ، ولأن الله تعالى رؤف بعباده المؤمنين فانه لايتركهم يكابدون وحدهم بدون دعم من عنده ، ولايعانون بدون مبشرات يبشرهم بها ، ولايبتلون بدون أن يحظوا بثمرات لصبرهم ومثابرتهم

ـ ان معنى كلامك ياشيخنا أن سبب ارتكاس الشعوب الاسلامية راجع فى المقام الاول الى ضعف ايمان المنتسبين الى الاسلام ، فلو آمنوا حقا بالله وبرسوله لانتشلوا انتشالا من النكسات والمحن والمذلة التى تحيط بهم من كل جانب ..

- أتذكر يا صاحبى قصة فتح مصر فى عهد الفاروق عمر ، فقد استمر حصار حصن نابليون فترة طالت بعض الشىء فأرسل القائد المسلم عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب تزويده بأربعة آلاف جندى فأرسل له عمر أربع رجال ومعه مكتوب قال فيه « أرسل لك اربعة رجال باربعة آلاف ... وكما تعلم فقد تم فتح الحصن بعد ذلك بسهولة ويسر

- عجبا ياشيخنا أيمكن أن يكون المسلم المؤمن بألف رجل ؟

- ألم يقل عز من قائل كما سبق الاشارة :

« والوا استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا »

« ومن اصدق من الله حديثا »

« ومن اصدق من الله قيلا »

ان الله عز وجل « ليس بظلام للعبيد »

انما يعطيهم بحسب عملهم وصدقهم واخلاصهم وتقربهم اليه

« فمن تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ومن تقرب اليه ذراعا تقرب اليه باعا » كما ورد عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

- أفهم من كلامك أن سبب الانحدار للأمة الاسلامية ضعف ايمانها بالله وطريقه فلو سعوا جادين الى الاعتداد التام به والى العمل الجاد به وترك كل ما نهى عنه .. لأصبحوا قوة لايستهان بها فى عالمنا المعاصر

- هذا حق ياصاحبى .. فاذا عمل المسلمون على تقوى الله فسينصرهم حتما ان شاء الله « وما النصر الا من عند الله »

« وان ينصركم الله فلا غالب لكم »

وسيقول المسلمون جاء نصر الله والفتح عندما يروا أنفسهم فى أعلى الدرجات علما ورقيه وحضارة . ورقيا روحيا ..

- لكن من أين نبدأ يا شيخنا نتحقق إعتاف الأمة ..

- نبدأ ياصاحبى بتعبئة المسلمين بكلمة الله أكبر .. وبالعمل على وحدة الصف بكلمة « لا اله الا الله » وبالاخلاص لله وذلك بالجهاد بالنفس والروح معا .. ولاسبيل آخر للانتصار ..

- وكيف تصعد عزائم المسلمين بهذا السلوك العملى ؟

- الأمر جد سهل فاذا اتفق حكام الامة فيما بينهم على أنه لا سبيل للظفر الا اتباع كلمات الله ، فان شعوبهم ستقتدى بهم وتمشى خلفهم وهذا هو الطريق الموصل لتحقيق آمال الامة

- وكيف يستطيع الحكام أن يقبلوا على هذه الخطوة ؟

- على الحكام أن ينسوا ذواتهم أولا ، وأن يعملوا على تحقيق مصالح الامة ، وأن لايهتموا بكراسى الحكم فلو صحت ارادتهم على اتباع ذلك لتحقق ما تنشده الامة الاسلامية ..

- أرجو أن يبدأ حكامنا

- « انك لن تستطيع أن تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »

- صدقت ياشيخنا ..

- بل صدق الله ..

خاتمـــة

من هذا العرض لمفاهيم الجدل فى القرآن الكريم والسـنة المطهرة ، يتضح لنا بما لايدعو مجالا للشك أن القرآن الكريم والشريعة الخـاتم تشتمل على الجانب العقلى بالاضافة الى الجانب اللدنى ٠

وجماع هذين الجانبين يعبر عن الحكمة فى أجل بيـان ٠ ومن أوتى الحكمة فقد أوتى الخير الكثير والعلم الغزير والفهم الرشيد والرأى السديد ٠

وهل يمكن أن يحظى انسان بالحكمة الا اذا كانت نفسه آمنة مطمئنة وعقله راشدا سديدا ، وقلبه سليما معافى ٠

وهؤلاء نفر أنعم الله عليهم وتولاهم واجتباهم واصطفاهم وأغـدق عليهم نعمه الظاهرة والباطنة فكانوا بحق أقطاب العلم وأرباب الحكمـة والموعظة والاسوة الحسنة ٠

أما المجادلون بغير علم ، فهم الجهال ، وأما المجادلون بغير علم ولاهدى، فهم بالاضافة الى أنهم من الجهال ، هم من أصحاب الهوى الذين عميت قلوبهم وغفلت نفوسهم عن التبصر بحقائق الامور والاشياء .

أما الصنف الثالث من المجادلين ، بالاضـافة الى جهـالاتهم وغفلتهم وتماديهم فى الغى والضلال ، وبعدهم عن الرشـاد والاستقامة والفطـرة السليمة ، فهم يجادلون بعقول قاصرة ونفوس ضالة مضلة ، وقلوب مريضة لأن اعتمادهم ليس قائما على كتاب الله انما اعتمادهم على ارهاصات أنفسهم ورعونات قلوبهم ، وفساد منطقهم ظاهرا وباطنا ، فهم وغيرهم من أصحـاب الفكر الذاتى المبتسر يختلفون عن أولو النهى والقلوب السليمة الذين يشغلهم التفكر فى خلق الله معرضين عن الفكر والهوى ٠

ان المؤمن الذى يريد أن يعرف الحقيقة لابـد أن يتخـذ من علم الله مرشدا ، ومن قول الله حافظا ورائدا ، ومن كتاب الله شرعة ومنهاجا ٠

وبذلك يستقيم على الطريقة ، ومن استقام على الطريقة لأسقاه ربه ماء غدقا ، فالطريقة الاسلامية ليس فيها عوج ولااجحاف ولا تعسير ، ان كلها يسر وتيسير يتمشى مع العقل الرشيد ، والنفس المستقيمة والقلب السليم الذى يظهر واضحا وبجلاء فى الفطر السليمة التى خلقها الله جل وعلا ٠

((فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبـديل لخلق الله))

المراجـع

١ ـ أسباب النزول ، للامام السيوطى ·

٢ ـ الوسائل فى معرفة الأوائل ، للسيوطى

٣ ـ هداية الحيارى ، لابن خيم الجوزية ·

٤ ـ نور الابصار ، للشبلنجى

٥ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام

٦ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذى ·

٧ ـ تهافت الفلاسفة ، للامام الغزالى ·

٨ ـ حى بن يقظان ، لابن طفيل

٩ ـ السياسة الشرعية فى اصلاح الرعية ، لابن تيمية ·

١٠ ـ النبوة والأنبياء ، للشيخ الصابونى ·

١١ ـ الديمقراطية فى الاسلام ، لعباس العقاد ·

١٢ ـ قصص الأنبياء ، للشيخ عبد الوهاب النجار

١٣ ـ الاسلام والعقل ، للدكتور عبد الحليم محمود

١٤ ـ الفلسفة ومباحثها ، للدكتور محمد على أبو ريان

١٥ ـ الفلسفة اليونانية ، د· محمد على أبو ريان

١٦ ـ أرسطو والمدارس المتاخرة ، د· محمد على أبو ريان

١٧ ـ نحو ثقافة اسلامية ، (للمؤلف)

١٨ ـ المنطق الصورى ، للدكتور على سامى النشار

١٩ ـ المنطق الحديث ومناهج البحث ، للدكتور محمود قاسم

٢٠ ـ دروس فى تاريخ الفلسفة ، للدكتور ابراهيم مدكور والأستاذ يوسف كرم ·

٢١ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ، للأستاذ يوسف كرم

٢٢ ـ قصة الفلسفة ، للدكتور مراد وهبة ·

٢٣ ـ آداب السلوك عند المصريين القدماء ، للأستاذ محمد عبد الحميد بســـيونى

٢٤ ـ الفكر العربى ومكانة فى التاريخ ، لديلاس أوليرى ·

٢٥ ـ حكمة الغرب ، لبرتراند راسل ·

٢٦ ـ الفلسفة الخلقية ، لاندريه كرسون ·

٢٧ ـ طريق الفيلسوف ، لجان فال ·

فهرس الموضوعات

كتب للمـؤلف : ـ

١ ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها
٢ ـ الحكومة الباطنية
٣ ـ الشريعة والحقيقة
٤ ـ نحو علم نفس اسلامى
٥ ـ نحو منهج علمى أسلامى
٦ ـ نحو ثقافة أسلامية
٧ ـ المسلمون علماء وحكماء
٨ ـ الكوكب الشاهق
٩ ـ الطب النفسى النبوى
١٠ ـ نحو تربية أسلامية
١١ ـ الأخلاق الاسلامية
١٢ ـ التربية النفسية
١٣ ـ الأخلاق الغربية فى الميزان
١٤ ـ أصول التصوف الأسلامى
١٥ ـ من حكماء الأمة

مناظرات فى الفكر الاسلامى : ـ

١ ـ الذين ينكرون القدوة
٢ ـ الحل الالهى
٣ ـ بنك الآخرة
٤ ـ الخائفون من شريعة الله
٥ ـ الهاربون الى الله
٧ ـ محاورات بين العقل والقلب
٦ ـ أقاصيص من مكة

رقم الايداع ٤٨٩٠ / ٨٦

الترقيم الدولي : ٨ ـ ٢٨٢ ـ ١٠٣ ـ ٩٧٧

مطبعة التقدم

عبد القادر محمد التوني

٢١ شارع سيزوستريس

سجل تجارى ٨٢١١١ ، ١

تليفون ٨٠٦٠٥٤ - ٨٠٦١٣١ اسكندرية